# الاستلزام الحواري
# في رائية عمر بن أبي ربيعة
# دراسة تداولية

الدكتور
**عبد الباقي على محمد يوسف**
الأستاذ المساعد بقسم البلاغة والنقد
بكلية اللغة العربية بأسيوط

## الملخص باللغة العربية

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على النبيّ الخاتم، والرسول الأكرم، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

**وبعد ،،،**

تتبنى هذه الورقة البحثية افتراضا سابقا بإمكانية تطبيق أحد معايير البحث التداولي المتمثل في نظرية الاستلزام الحواري لـ (كرايس) على النصوص الإبداعية؛ انطلاقا من تركيز الاتجاه التداولي على البعد الاستعمالي والإنجازي للغة الخطاب، فالتداولية ينصب اهتمامها على اللغة في استعمال المتكلمين لها، فهي نظرية استعمالية تخاطبية بالدرجة الأولى، تتبعث من المقام التخاطبي، بدءًا من مقاصد المتكلم، ومرورا بمدى انعكاس الأسيقة على التلقي، واستكشافا لأثر هذا المقام التخاطبي في إنتاج الدلالة.

وهي، وإن تشعبت أصولها ومباحثها، وتراحبت دوائر اهتمامها بسبب تعالق نشأتها بجمهرة من العلوم المختلفة، والمجالات المعرفية المتداخلة، كعلم اللغة، والفلسفة، والمنطق، وعلم النفس، وعلم الاجتماع = إلا أن الجانب الاتصالي في علامات اللغة المعنيَّ بدراسة علاقات هذه العلامات بمستخدميها يمثل لب الاهتمامات التداولية، أو المنحى البؤري لها؛ ومن ثم فإن الاستلزام الحواري يعد من أهم مجالات التداولية.

من هذه الفرضية انطلقت الدراسة صوب واحد من النصوص الإبداعية في الخطاب الشعري تمثله رائية عمر ابن أبي ربيعة؛ لتعيد قراءة هذه اللوحة الفنية الرائعة قراءة تداولية في ضوء نظرية الاستلزام الحواري.

**كلمات مفتاحية:** تداولية – استلزام حواري – قوة إنجازية – محتوىً قضوِيٌّ.

## Abstract

Praise be to Allah, the Lord of Allamines, and peace and blessings be upon the last prophet, the noble Prophet, his family and all his companions.

And after‘‘‘

This paper adopts a previous assumption that one of the criteria of deliberative research, which is the theory of dialogue necessity of (CHRIS), is applied to the creative texts, based on the focus of the deliberative direction on the use and achievement dimension of speech language. Primarily speaking, they emanate from the conversational maqam, from the purposes of the speaker, to the extent of the reflection of the apse on the receipt, and to explore the impact of this conversational maqam in the production of significance.

Although its origins and researches are branched, and their circles of interest are welcomed by the fact that their origins are related to a variety of different sciences, and interdisciplinary areas of knowledge, such as linguistics, philosophy, logic, psychology, and sociology. Deliberative concerns, or focal-oriented, and therefore the necessity of dialogue is one of the most important areas of deliberation.

From this hypothesis, the study was launched towards one of the creative texts in the poetic discourse represented by Raya Omar Ibn Abi Rabia; to reread this wonderful painting deliberative reading in the light of the theory of dialogue necessitating.

Key words: deliberative - dialogue dialogue - achievement force - content.

## مُقَدِّمَة

العرب أشرف الأمم، ولغتهم أشرف اللغات، وقد اختار الله العربية؛ لتكون لغة رسمية لآخر إرساليات السماء إلى الأرض، وقد تكفل الله بحفظ كتابه، وحفظه مستلزم حفظ لغته، وإذا إراد الله أمرا هيأ له أسبابه، ومن أسباب حفظ العربية أن اصطفى الله لها سدنة مخلصين، وحراسا أَسِدّاء، أَشْبَلَهُمُ الله على حب العربية، وزودهم بما يمكّنهم من إنجاز ما وُهبوا له، من قلوب واعية، وعقول قادرة؛ فنهجوا الطريق، ونصبوا الأعلام، وقاموا بالمهمة خير قيام، وتحسبوا لزيغ الأخلاف من أصحاب الفطر المأفونة، والعقول المستخربة اللاهثين خلف كل ناعق؛ فتبتلوا في محراب العلم عاكفين، ودبجوا خير زاد للخالفين، وكان ضمن ما حبرته يراعهم ما يصلح أن يكون أصولا جنينية لما يعرف حديثا بـ (النظرية التداولية)، تلك النظرية الألسنية التي تعد آخر ما ظهر على الساحة الأدبية في الآونة الأخيرة.

على أنه ليس من غايات هذا البحث إلصاق النظرية التداولية بمظهرها الألسني الغربي الحديث بتراث أسلافنا من الرواد، ولكن يتغيا في المقام الأول كسر نفاجة المخدوعين بالغرب، والحد من غلوائهم.

ثم هو دعوة لمزيد من الوعي في قراءة التراث اللغوي للوقوف على الخصائص الفكرية لهؤلاء الأحوذيين البرعاء، وما يزخر به تراثهم من النفائس الثُّمّ، والضنائن الغُرّ، والأعسال المختومة المحجوبة عن كل قلب مربادّ، وعين رمداء، وذلك من خلال إشارات سريعة مركزة تدفع إلى الانغلال في مؤلفاتهم السخية العامرة، ومعرفة كيف كانوا يعالجون مسائل العلم على الوجه الأمثل، ولبيان أن التقليل من شأن ما دبجته يراعهم مرجعه قلة الفهم عنهم، أو الأحقاد المتشظية عليهم، وكان الأولى بهؤلاء الأخلاف الإبحار بين شطآن هذا التراث الثري الثرّ، والغوص إلى أعماقه، لفك رموزه المشفّرة على عقولهم المستركّة، ولعمري إنه نعم الطريق!.

وحرصا من الباحث أولا على التنبيه على القيمة العلمية لما خلفه الأجداد فيما يتعلق بأصول البحث التداولي من جهة، والرغبة في الكشف عن صفحة

بيضاء لواحد من أعذب النصوص الإبداعية في شعر الغزل العربي في صدر الإسلام من جهة أخرى، وحرصا من الدراسة ثانيا على بيان قابلية النصوص الإبداعية للتحليل التداولي جاء هذا البحث المرقون بـ " الاستلزام الحواري في رائية عمر ابن أبي ربيعة [1] قراءة تداولية"، وقد جاءت الدراسة في ثلاثة مباحث مسبوقة بمقدمة وتمهيد، ونص القصيدة ومعاقدها السياقية متلوة بخاتمة، وفهارس متنوعة. وقد انتظمت جميعها وفق الخطة التالية:

**المقدمة**، وفيها نبذة عن أهمية الموضوع، ودوافع انتخابه.

**التمهيد**، ويحوي إضاءات مفاهيمية، ولمحات تأريخية حول النظرية التداولية، ويتكون من المطالب الآتية:

**المطلب الأول**: مقاربة تأصيلية لمصطلح التداولية.

**المطلب الثاني**: الاستلزام الحواري.

**المطلب الثالث**: الأصول التداولية في التراث العربي.

**نص القصيدة ومعاقدها السياقية**.

**المبحث الأول**: الاستلزام الحواري والاستفهام.

**المبحث الثاني**: الاستلزام الحواري والاستعارة.

**المبحث الثالث**: الاستلزام الحواري والكناية.

وقد تبنى البحث المنهج الوصفي التحليلي وفق ما اقتضته طبيعة الموضوع؛ إذ يقوم الباحث بوصف الظواهر اللغوية حسب وجودها في المدونة مناط الدراسة، وهي رائية عمر ابن أبي ربيعة، كما اتكأ البحث كذلك على بعض آليات التحليل التداولي في تحليل النص من المنظور التداولي.

❁❁❁❁❁

(١) عمر ابن أبي ربيعة شاعر قرشي من بني مخزوم عاش في الفترة ما بين (٢٣ – ٩٣ هـ). كان أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفرزدق. قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر للحضرمي ٤٨٨/١ بتحقيق بو جمعة مكري وخالد زاوي–ط/١ دار المنهاج بجدة ١٤٢٨هـ. والأعلام للزركلي ٥٢/٥ ط/١٥ دار العلم للملايين بيروت ٢٠٠٢م.

# تمهيـــــد

## إضاءات مفاهيمية ولمحات تأصيلية حول مصطلح التداولية

### المطلب الأول

### مقاربة تأصيلية لمصطلح التداولية:

تعد التداولية[١] واحدا من التيارات اللسانية الحديثة المسيطرة على حلبة الدرس اللغوي الحديث، والمهيمنة على ساحة الدراسات اللسانية المعاصرة، وهي علم "يدرس كيفية فهم الناس للحدث التواصلي أو الحدث الكلامي في سياق ما بصورة عامة"[٢]. فمن المفيد – وفق مبادئ التداولية أن ندرس العمليات التواصلية من وجهة نظر تخاطبية تركز على أهمية الحوار المسئول الأول عن إخراج اللغة من حالة السكون إلى حالة الحركة[٣] وهذا المتجه من "الفكر التداولي عمل فلاسفة (أكسفورد) على نشره، وبثه في الأوساط اللغوية والأدبية"[٤]. والاشتقاق اللغوي للمصطلح مرجعه المادة اللغوية

(١) تعددت الترجمات العربية للمصطلح الأجنبي (pramateg) ما بين " التبادلية والاتصالية والنفعية والذرائعية والمقصدية والمقامية إلى جانب التداولية". دليل الناقد الأدبي لـ (ميجان الرويلي وسعد البازعي) صـ ١٠٠ ط/٢ المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء سنة ٢٠٠٠م.

(٢) التداولية عند ابن جني دراسة تطبيقية في كتاب في الخصائص لصبحي إبراهيم الفقي صـ ٢٣٠ مجلة الدراسات الشرقية – جمعية خريجي أقسام اللغات الشرقية بالجامعات المصرية مصر العدد ٣٩ لسنة ٢٠٠٧م صـ ٢٣٩.

(٣) ينظر: (سوسيولوجيا اللغة) لـ ( بيار أشار) ترجمة عبدالوهاب ترّو صـ ١١ ط/١ مشورات عويدات بيروت لبنان ١٩٩٦م.

(٤) المقامة البشرية للهمذاني قراءة نصية تداولية في ضوء نظرية الحجاج لنعمان عبدالمجيد بوقرة صـ ٤٥ – المجلة العربية للعلوم الإنسانية بالكويت المجلد ٣١ – العدد ١٢٣ لسنة ٢٠١٣م.

(د و ل) السابحة في فلك التحول، والانتقال[١]، ولا يعوز إلى تفكرٍ كونُ اللغة جمعت الوصفين: التحول والانتقال؛ إذ تتحول من حالة لدى الباثِّ أو المتكلم إلى حالة أخرى لدي المستقبل أو المخاطب، ولا يُمترى في تنقلها بين الناس، يتداولونها فيما بينهم.

والفضل في ظهور (التداولية) مرجعه الفيلسوف الأمريكي (تشارلز موريس)[٢] في مقال له سنة ١٩٣٨م؛ فقد حدّ التداولية في معرض حديثه عن علم العلامات بأنها" ميدان من السيميائية يتناول العلاقة بين العلامات ومستعمليها"[٣]. ولا يكاد يخرج واحد من تعريفات التداولية المتعاقبة – على كثرتها[٤]– عن مفهوم (تشارلز) السابق، وإن كان بعض هذه التعريفات أكثر

(١) ينظر: المحيط في اللغة لابن عباد ٣٥٥/٩، بتحقيق محمد حسن آل ياسين ط/١ عالم الكتب بيروت ١٤١٤هـ، ومقاييس اللغة لابن فارس ٣١٤/٢ بتحقيق عبدالسلام هارون ط/١ دار الفكر ١٣٩٩هـ. ولسان العرب لابن منظور ٢٥٢/١١ ط/٣ دار صادر بيروت ١٤١٤هـ.، والقاموس المحيط للفيروزأبادي ١٠٠٠/١بتحقيق مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة ط/٨ ٢٠٠٥م.، وتاج العروس للزبيدي ٥٠٧/٢٨ بتحقيق مجموعة من المحققين نسخة صادرة عن دار الهداية من دون تاريخ.

(٢) ( تشارلز ويليام موريس) عالم أمريكي كان يبحث في الدلائلية. ولد سنة ١٩٠١م، وضع أسس الدلائلية وعلم العلامات في كتاب له صدر سنة ١٩٤٦م. التداولية اليوم علم جديد في التواصل لـ (آن روبول) و(جاك موشلار) صـ٢٤٣، ٢٤٤ ترجمة: د.سيف الدين دغفوس، ود. محمد الشيباني، ومراجعة د. لطيف زيتزني. ط/١ عن المنظمة العربية للترجمة – دار الطليعة – بيروت ٢٠٠٣م.

(٣) تحليل الخطاب المسرحي في ظل النظرية التداولية لعمر بلخير – منشورات الاختلاف الجزائر – ط/١ صـ٢.

(٤) من هذه التعريفات أن التداولية:"دراسة الشروط القبلية التواصلية كما هي، فلا يوجد لها طابع يرتبط بالظروف التجريبية، بل بشروط تواصلية عامة". المقاربة التداولية لـ (فرانسوارز أرمنكو) صـ ٨٤ – ترجمة د. سعيد علوش – ط/١ – مركز الإنماء القومي بالرباط ١٩٨٦م. ومنها أنها:" دراسة الارتباط اللازم لعملية التواصل في اللغة الطبيعية". السيميائية وفلسفة اللغة لـ (أمبرتو إيكو) صـ ٤٥٥ ترجمة د. أحمد =

تحديدا، وتضييقا لمفهوم التداولية، وذلك مثل: (ليفينسون) الذي حصر التداولية في كونها تُعنى بدراسة العلاقات بين اللغة والسياق(١)، و(جورج يول) القائل بأن التداولية "دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم"(٢)، و(فيليب بلانشية) الذي عرف التداولية بأنها" الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية"(٣).

على أن من أدق تعريفات التداولية، وأشملها، وأكثرها تحديدا لأبعادها ما جاء على لسان الدكتور محمود نحلة الذي استحصد تعريفات التداولية السابقة عليه؛ فاستخلص منها أنها:

" دراسة اللغة في الاستعمال أو التواصل لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها ولا يرتبط بالمتكلم وحده ولا السامع وحده فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد(مادي، اجتماعي، لغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما"(٤).

---

=الصمعي ط/١ المنظمة العربية للترجمة بيروت ٢٠٠٥م. أو هي " درس كل شيء إنساني في العملية التواصلية". شظايا لسانية للدكتور جميل الماشطة صـ ٥٩ ط/١ مطبعة السلام بالبصرة ٢٠٠١م.

(١) مدخل إلى دراسة التداولية(مبدأ التعاون ونظرية الملائمة والتأويل) لـ(فرانشيسكو يوس راموس) صـ ٩ ترجمة يحيى حمدان ط/١ دار نيبور بالعراق ٢٠١٤م.

(٢) التداولية لـ (جورج يول) صـ ١٩ ترجمة قصي العتابي ط/١ دار الأمان بالرباط ٢٠١٠م.

(٣) التداولية من (أوستين) إلى (غوفمان) لـ (فيليب بلانشية) صـ ١٨ ترجمة صابر الحباشة ط/١ دار الحوار سوريا اللازقية ٢٠٠٧م.

(٤) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لمحمود أحمد نحلة صـ ١٢ط/١ دار المعرفة الجامعية مصر ٢٠٠٢م.

هذا، والمذهب التداولي من حيث التطور يدين بالفضل الأكبر لثلاثة من فلاسفة اللغة الغربيين:( أوستين) [١] و(سيرل) [٢] و(كرايس) [٣] هؤلاء النفر الذين عملوا على تطوير النظرية التداولية بالتقاط موفق للإشارة التي ألقى بها (تشارلز موريس) في محاضرته سنة ١٩٣٨م؛ فلم تصبح التداولية " مجالا يعتد به في الدرس اللغوي إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن قام على تطويرها"[٤] هؤلاء النفر الثلاثة.

وقد نبه بعض المهتمين بالشأن التداولي إلى تنوع التداولية من حيث الاهتمام والوجهة[٥]، "وقد تكون علة ذلك كونها مجالا خاصا بدراسة ظاهرة

(١) (جون أوستين) منطقي ولساني بريطاني (١٩١١ – ١٩٦٠م) درس الفلسفة في جامعة (أكسفورد) من ١٩٥٢ –١٩٦٠م، لم تصدر له كتب إلا أن مؤلفاته جمعت بعد رحيله سنة ١٩٦١، ١٩٦٢. التداولية اليوم علم جديد في التواصل لـ (آن روبول) و(جاك موشلار) صـ ٢٤٣.

(٢) (جون روجرز سيرل) فيلسوف أمريكي ولد سنة ١٩٣٢م ، تلميذ (جون أوستين) كان له آراء شهيرة منها أنه اعتبر أن وحدة التواصل هي العمل اللغوي. التداولية اليوم علم جديد في التواصل لـ (آن روبول) و(جاك موشلار) صـ ٢٤٤ ترجمة: د.سيف الدين دغفوس، ود. محمد الشيباني، ومراجعة د. لطيف زيتزني. ط/١ عن المنظمة العربية للترجمة – دار الطليعة – بيروت ٢٠٠٣م.

(٣) (بول كرايس) فيلسوف أمريكي (١٩١٣ – ١٩٨٨م) من أهم فلاسفة اللغة ممن كان لهم أثر كبير في توجيه الدرس الفلسفي للمعنى وكيفية تشكله من اللغة انطلاقا من فهم آليات المحادثة، صاغ نظريته في الدلالة القصدية من خلال محاضراته الشهيرة (محاضرات وليام جايمس) التي ألقاها بـ (هارفارد) ١٩٦٨م، ونشرت لاحقا ١٩٧٥م. التداولية اليوم لـ (روبال وموشلار) صـ ٢٤٥ ترجمة.

(٤) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لمحمود أحمد نحلة صـ ١٣.

(٥) ينظر: الأسس الإبستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه لإدريس مقبول صـ ٢٦٣ طبعة المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء من دون تاريخ.

اللغة والتواصل وطرائق استعمالها، ومن ثم فهي تلجأ إلى دمج مشاريع معرفية متنوعة في دراسة هذه الظاهرة وتفسيرها"[١].

كما أن أفعال الكلام تقع موقعا متميزا من دائرة الاهتمام التداولي بشهادة أقطاب التداولية الغربيين المؤسسين للنظرية[٢]؛ ومن هنا يمكن الاطمئنان للقول بتراحب مجالات البحث التداولي، وتنوع روافده[٣]؛ إذ "ليس للدرس التداولي المعاصر مصدر واحد انبثق منه، ولكن تنوعت مصادر استمداده، إذ لكل مفهوم من مفاهيمه الكبرى حقل معرفي انبثق منه، فـ(الأفعال الكلامية) مثلا مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي هو تيار الفلسفة التحليلية بما احتوته من مناهج وتيارات وقضايا، وكذلك مفهوم نظرية المحادثة الذي انبثق من فلسفة (بول غرايس)، وأما نظرية الملائمة فقد ولدت من رحم علم النفس المعرفي وهكذا"[٤].

وهكذا "عنيت الدراسات التداولية بأكثر من جانب من جوانب الخطاب، ويكاد الباحثون يتفقون على أن البحث التداولي يقوم على أربع جوانب هي الإشاريات، والافتراض السابق، والاستلزام الحواري، والأفعال

(١) آليات التداولية في تحليل الخطاب لعبدالقادر عواد صـ ٢٧ مجلة البيان بالكويت العدد ٤٩٢ يونيو ٢٠١١م.

(٢) منهم مثلا: (فان دايك) في كتابه: النص والسياق ترجمة عبدالقادر قنيني صـ ٢٥٥ طبعة الدار البيضاء دار أقريقيا الشرق من دون تاريخ.

(٣) في هذا الصدد تشير (فرنسواز أرمينكو) إلى ثلاث مستويات من التداولية: "تداولية الدرجة الأولى، وهي دراسة الرموز الإشارية، ولها سياق خاص هو السياق الوجودي والإحالي، وتداولية الدرجة الثانية: وهي دراسة تعبير القضايا في ارتباطها بالجملة المتلفظ بها في الحالات العامة، ولها سياق، إنه السياق الذهني، بل السياق المترجم إلى تحديدات العوالم الممكنة. وتداولية الدرجة الثالثة: وهي نظرية أفعال اللغة، والسياق هو الذي يحدد فيما إذا تم التلفظ الجاد أو الدعابة". المقاربة التداولية لـ (فرانسواز أرمينكو) ترجمة سعيد علوش صـ ٣٨ مركز الانماء القومي الرباطالمغرب ١٩٨٦م.

(٤) التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي صـ ١٧.

الكلامية"[1]، "وهذا الانفتاح جعل التداولية تداوليات"[2]؛ ومن ثم فما على الباحث من بأس إن يمم وجهه شطر واحد من هاته الدوائر التداولية ذات التشابكات المتعددة للتكشيف عن جوانبها، والانغلال في بواطنها؛ مطبقا إياها على مدونة من المدونات الإبداعية، أو الفضاءات الشعرية؛ وعليه فقد وقع اختيار الباحث على رائية عمر ابن أبي ربيعة لتكون ساحة لواحد من فروع التداولية المتمثل في الاستلزام الحواري.

❁❁❁❁❁

(١) المقاربة التداولية (قضية لغوية) لمحمد الزليطي صـ ٢ السعودية مطبوعات جامعة الملك سعود ٢٠٠٧م.، وينظر: التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي صـ ٣٠، وينظر: الاستلزام الحواري في سورة البقرة صـ ٣١.

(٢) السياق وبناء المعنى مقاربة تداولية للمقامة الأهوازية لرحيمة شيتر صـ ١.جامعة محمد خيذر بسكرة الجزائر ٢٠٠٩م.

## المطلب الثاني

### الاستلزام الحواري:

الاستلزام الحواري واحد من منطلقات البحث التداولي، ومجال من مجالات اهتمام التداولية، ونظرية الاستلزام الحواري تعود بالمقام الأول إلى (كرايس) الذي استنبتها من رحم الأفعال الكلامية[١]، أو الأفعال اللغوية التي اهتم بها كل من (أوستين) و (سورل) بشقيها المباشر وغير المباشر، لكن (كرايس) ركز على الشق الثاني المتمثل في الأفعال اللغوية الغير مباشرة، ومن ثم فإن "خروج مقالة (كرايس) ١٩٧٥م مثلت البداية الحقيقية لتناول ظاهرة الفعل اللغوي غير المباشر"[٢] التي مثلت بدورها الأصول الجنينية لنظرية الاستلزام الحواري الذي أضحى نواة مركزية لنظرية التداولية.

تقوم نظرية الاستلزام الحواري[٣] على التمييز بين" القوة الإنجازية الحرفية والقوة الإنجازية المستلزمة. أما الأولى فهي القوة المدركة مقاليا، والتي يدل عليها بصيغة الفعل كما هو الأمر بالنسبة إلى "الأمر" أو الأداة كما هو

(١) الأفعال الكلامية تمثل واحدا من أهم ميادين النظرية التداولية، ويرجع الفضل فيها إلى الأمريكي (تشارلز أوستين) الذي فتح بطرحه "نقاشا واسعا انخرطت فيه ثلة من الباحثين من أمثال: ( سورل) و(كرايس) و(فان ايمرن) وغيرهم". الاستلزام الحواري في التداول اللساني للعياشي أدواري صـ ٨٧. ط/١ منشورات الاختلاف دار الأمان بالرباط ١٤٣٢هـ. وينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لمحمود نحلة صـ ٣٢. دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية طبعة ٢٠٠٢م.

(٢) الاستلزام الحواري في التداول اللساني صـ ٩٥.

(٣) يرى الفيلسوف الأمريكي (جون بول كرايس)"أن المتخاطبين لا يندفعون إلى التبادلات الكلامية إلا وهم يسلمون بالتعاون فيما بينهم لإنجاح هذه التبادلات، وتحقيق الأغراض التي راموها من وراء هذا الاندفاع". التداولية الاهتمام والمفاهيم والأهداف محمد رخروخ صـ ١ مقال منشور بمجلة (أقلام) الثقافية الفلسطينية على موقع الشبكة العنكبوتية. أبريل ٢٠٠٩م.

الحال في "النهي" أو بالتنغيم أو بفعل إنجازي مثل: سأل، التمس، وعد..... إلخ"(١).

"ويراد بالقوة الإنجازية المستلزمة القوة الإنجازية المدركة مقاميا، والتي تستلزمها الجملة في سياقات مقامية معينة، ولا قرائن بنيوية تدل عليها في صورة الجملة"(٢).

ولتوضيح ذلك يمكن الاستعانة بقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا﴾(٣)؛ حيث تنجز الآية الكريمة فعلين لغويين مباشرين: الأمر المتمثل في قوله – تعالى –: "اعف" والنهي المتمثل في قوله – سبحانه – "لا تحملنا" والفعلان يستدل عليهما بقرائن بنيوية هي (لا الناهية)، وصيغة (افعل) لكن السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة يجعل المنجز فيها فعلا لغويا غير مباشر يتمثل في المعني المفهوم أو المشتق من المعنيين الأصليين، وهو الدعاء.

ارتكز (كرايس) على هذه القاعدة، منطلقا إلى أصول الحوار، ناظرا في الشروط المناسبة لاستعمال العبارات عوض أن يتناول معاني الكلمات والجمل؛ إيمانا منه بأن تعدد الفعل اللغوي المباشر لا يقدم حلا لمشكلة المعنى، وعليه فقد "سعى إلى بسط الأسس العامة للحوار، وذلك بتحديد القواعد العامة التي يتعين الانضباط لها أثناء التحاور"(٤).

وهكذا "عُرف المبدأ التداولي الأول للتحاور باسم " مبدأ التعاون" وورد نص هذا المبدأ في اللسانيات الحديثة عند الفيلسوف الأمريكي (بول كرايس)؛ إذ ذكره لأول مرة في دروسة المرقونة بعنوان: محاضرات في التحاور، ومفاد

(١) الأمر والنهي في اللغة العربية لنعيمة الزهري صـ ١٥٩-١٦٠ط/١ مطبعة المعارف الجديدة بالرباط ١٩٩٧م.
(٢) الاستلزام الحواري في التداول اللساني للعياشي أدراوي صـ ٩٧ .
(٣) سورة البقرة من الآية ٢٨٦.
(٤) الاستلزام الحواري في التداول اللساني صـ ٩٥.

هذا المبدأ أن على أطراف الحوار أن تتعاون فيما بينها لتحصيل المطلوب، بمعنى أنه يوجب أن يتعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف من الحوار الذي دخلا فيه، وقد يكون هذا الهدف محددا قبل دخولهما في الكلام، أو يحصل تحديده أثناء هذا الكلام"(١).

وهذا المبدأ التخاطبي الذي أرساه (كرايس) يعد مركز اهتمام بؤْرِيٍّ للتداولية التي جعلت "شغلها الأول البحث في تلك الشروط الضرورية واللازمة كي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناجحة وأيضا مناسبة في الموقف التواصلي الذي يتحدث فيه المتكلم"(٢).

ومعنى التعاون بين أطراف الحوار بالنسبة لـ (كرايس) "أن نتعاون يعني تلبية المتكلم بأن يساهم في المحادثة بما هو مطلوب منه بحسب الكيفية التي جرت بها المحادثة، والوجهة التي اتخذتها"(٣).

وقد"لاحظ (كرايس) أن جمل اللغات الطبيعية يمكن – في بعض المقامات – أن تدل على معنى غير الذي يوحي به محتواها القضوي، أو معناها الحرفي"(٤).

---

(١) مفهوم التخاطب بين مقتضى التبليغ ومقتضى التهذيب لطه عبدالرحمن صـ ٤٣ مقال منشور بمجلة كلية الأداب بني ملال بالمغرب العدد الأول لسنة ١٩٩٤م.

(٢) اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية لمصطفى غلفان صـ ٢٤٦ – جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء المغرب ١٩٨٨م. وينظر: آليات التداولية في تحليل الخطاب لعبدالقادر عواد صـ ٢٥ مجلة البيان بالكويت العدد ٤٩٢ يونيو ٢٠١١م.

(٣) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية لـ(جاك موشلار) و( آن ريبول) ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين بالجامعات التونسية بإشراف عز الدين المجدوب مراجعة خالد ميلاد صـ ٢١٤–ط/٢– ٢٠١٠م.

(٤) اللسانيات الوظيفية مدخل نظري لأحمد المتوكل صـ ٢٦– ط/٢ار الكتاب الجديد المتحدة بيروت ٢٠١٠م.

تمكن (كرايس) من تلخيص نظريته الحوارية في مبدإ عام على النحو الآتي:" ينبغي أن تكون مساهمتك الحوارية بمقدار ما يطلب منك في مجال يُتوسل إليه بهذه المساهمة، تحدوك غاية الحديث المتبادل أو اتجاهه، وأنت ملتزم بأحدهما في لحظة معينة"(١).

بعد تحديد (كرايس) للمبدأ العام عمد إلى تفريعه إلى مجموعة من القواعد الحوارية التي سماها بعض المهتمين بالشأن التداولي(٢) بالمبادئ الفرعية، وهي:

قاعدة الكم(٣).

وقاعدة الكيف(٤).

---

(١) نظرية (كرايس) والبلاغة العربية للدكتور (بن عيسى عسو أزابيط) صـ ٤٦ مقال منشور في العدد الثالث عشر من مجلة كلية الآداب في مكناس لسنة ١٩٩٩م.

(٢) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني للعياشي أدواري صـ ٩٥ وما بعدها، وينظر أيضا: شعر أبي نواس دراسة تداولية للباحث حسين عمران محمد صـ ٢٣٦ أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في كلية التربية والعلوم الإنسانية بجامعة ديالي بالعراق ٢٠١٥م.

(٣) "تعتبر هذه القاعدة الفرعية حدا دلاليا القصد منه الحيلولة دون أن يزيد أو ينقص المتحاورون من مقدار الفائدة المطلوبة، وتتفرع بدورها إلى: (أ) لتكن إفادتك للمخاطب على قدر حاجته. (ب) لا تجعل إفادتك تتجاوز الحد المطلوب". الاستلزام الحواري في التداول اللساني للعياشي أدواري صـ ٩٥ وما بعدها، وينظر: شعر أبي نواس دراسة تداولية لحسين عمران صـ ٢٣٦.

(٤) "القصد من الكيف منع ادعاء الكذب أو إثبات الباطل، ولهذا يطلب من المتكلم ألا يورد من العبارات سوى التي وقف على دليل يثبت صدقها، وقد تم تفريعها إلى: (أ) لا تقل ما تعلم خطأه. (ب) لا تقل ما ليس لك عليه دليل". الاستلزام الحواري في التداول اللساني للعياشي أدواري صـ ٩٥ وما بعدها، وينظر: شعر أبي نواس دراسة تداولية لحسين عمران صـ ٢٣٦.

وقاعدة العلاقة أو الملائمة[١].

وقاعدة الجهة أو الكيفية[٢].

وقد عمد (كرايس) إلى هذه القواعد بقصد ضبط العملية التخاطبية، بحيث إن أي خروج عنها أو عن إحداها يخل بمسار الحوار، ويجعل المتلقي يصرف الكلام عن وجهه الظاهر إلى الوجه الذي يتطلبه المقام، وقد يعمد المتكلم إلى هذا الخرق لهاتيك القواعد؛ توسلا بهذا الخرق لخدمة القصد، والوفاء بحق السياق[٣].

❁❁❁❁❁

(١) "قاعدة العلاقة بمثابة حد مقصدي الهدف منه منع المتكلم من أن ينزلق إلى مقاصد أخرى مخالفة لتلك التي استهدفها الخطاب، أي يراعي علاقة المقال بالمقام، وتقول هذه القاعدة:" ليناسب مقامك مقالك". الاستلزام الحواري في التداول اللساني للعياشي أدواري صـ ٩٥ وما بعدها، وينظر: شعر أبي نواس دراسة تداولية لحسين عمران صـ ٢٣٦.

(٢) "مدار اختلافها عن القواعد السابقة من حيث كونها لا ترتبط بما قيل، بل بما يراد قوله، والطريقة التي يجب أن يقال بها، والهدف منها تجنب الإضطراب والملل والإيجاز المخل في القول، فهي ترتبط إذن بالقاعدة الأساسية التي نعبر عنها بـ " التزم الوضوح"، وتتفرع إلى: (أ) لنحترز من الالتباس ،(ب) لنحترز من الإجمال، (ج) لتتكلم بإيجاز، (د) لترتب كلامك". الاستلزام الحواري في التداول اللساني للعياشي أدواري صـ ٩٥ وما بعدها، وينظر: شعر أبي نواس دراسة تداولية لحسين عمران صـ ٢٣٦.

(٣) إن ما طرحه (كرايس) يجعلنا بين أمرين: إما أن نتبع القواعد المتفرعة عن (مبدإ التعاون)، وإما أن نخرج عنها، فإن اتبعنا حصلت فائدة قريبة، أو ما سماه الأصوليون بـ (المنطوق)، وإلا حصلت فائدة بعيدة، أو ما سماه الأصوليون بـ ( المفهوم). الاستلزام الحواري في التداول اللساني للعياشي أدواري صـ ١٠٠.

## المطلب الثالث:

## الأصول التداولية في التراث العربي.

لعل من تمام الفائدة في هذا المهاد النظري الإشارة – ولو على عجل – إلى ما حفل به التراث العربي من أصول جنينية للنظرية التداولية بفروعها المختلفة – بما فيها الاستلزام الحواري – وذلك لدفع ناشئة الأجيال إلى مزيد من الاعتزاز بتراث أسلافهم من الرواد، وحثهم على القراءة الواعية المتأنية لما دبجته يراع السلف، والتحذير من الانخداع بما يزينه المستغربون من ادعاءات، ويطنطنون به من نفاجات.

على أن العتبة الأولى من عتبات التداولية، وهي عتبة (الأفعال الكلامية) أوسعها التراث العربي بحثا، وأشبعها تطبيقا، وذلك ضمن تعرض الأسلاف لمسألة (الخبر والإنشاء) التي اصطنعوها لأمتهم، وصنعوها على أعينهم، و(الأفعال الكلامية) كغيرها من فروع التداولية المعاصرة، وإنما ذكرُها من باب التمثيل، وذلك ابتداء من شيخ النحاة الأجلّ سيبويه المتوفي حوالي (١٨٠هـ) [١].

(١) "مما يؤكد اهتمام النحاة بالبعد التداولي للظاهرة اللغوية إشارة بعضهم إلى (المعاني والأغراض ) العميقة الكامنة وراء الألفاظ والمباني، ومن ذلك إشارة سيبويه إلى أن (القسم) لا يعدو أن يكون تأكيدا للكلام وأن لـ (لاستفهام) عدة وظائف تواصلية منها (التنبيه)". التداولية عند العماء العرب لمسعود صحراوي صـ ١٨٥، ٢٢٦. ومن أهم الالتفاتات التداولية عند سيبويه حديثه عن درجات مقبولية الكلام، حيث عقد بابا أسماه (باب الاستقامة من الكلام والإحالة) قال فيه:" فمنه مستقيم حسنٌ، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب" الكتاب لسيبويه ٢٥/١ بتحقيق عبدالسلام هارون ط/٣ مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٨م. " وتعكس كل صفة من هذه الصفات جانبا من جوانب الكلام التركيبية أو الدلالية أو التداولية" خصائص البنى التركيبية للخطاب النبوي الشريف في صحيح مسلم مقاربة تداولية صـ ٣٣ لعلي بعداش أطروحة دكتوراه بجامعة سطيف بالجزائر لسنة ٢٠١٦م. على أنه ليس من وكد البحث هنا التعمق في مؤلفات الأسلاف؛ لتتبع الأصول التداولية فيها، فقد أغنى عن ذلك ما=

ومرورا بأول من أسس من فن البلاغة قواعده[١] عبدالقاهر الجرجاني المتوفي (٤٧١هـ) [٢]، ذلك "الشيخ الصابر المنقطع والمقتدر على جمع عقله وخواطره ، فيما بين يديه من كلمات"[٣].

---

=سجله مسعود صحراوي في كتاب:التداولية عند العلماء العرب الذي جاء ضمن نتائجه أن علماء العرب – ومنهم علماء أصول الفقه – كانوا " من أحسن المستثمرين لظاهرة الخبر والإنشاء في إطارها التداولي ... ومن مراعاة البعد التداولي في النحو العربي أن كثيرا من النحاة العرب كانوا غير بعيدين عن هذا التصور التداولي في تطبيقهم لظواهر الخبر والإنشاء" وقد فصل الرجل ذلك محتفيا به، وهو – بعدُ – العليم علم القريب المفاطن بأبعاد التداولية وحقولها الإجرائية؛ مما يجمل معه الإحالة عليه في الصفحات الآتية على سبيل المثال: ٥٦،٥٧ ،٥٨، ٥٩، ٦١، ١٨٥، ٢٢٦ وما بعدها.

(١) الطراز للعلوى صـ ٤ . تحقيق : محمد عبدالسلام شاهين . ط/١ . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ١٩٩٥م.

(٢) أما عن أصول التداولية عند الإمام عبدالقاهر فقد تولى بيانها بحث مرقوم بـ (قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز) وانتهى إلى نتائج قطعية الدلالة على أن عقل هذا الرائد الفذ كان مستوعبا تماما لقضايا التداولية المعاصرة بكل أبعادها ومجالات اهتمامها، وقد فصل البحث القول في ذلك بما تطمئن معه النفس على ما تعتقده من أن النظرية التداولية بفروعها المختلفة لم تكن أبدا بمنأى عن عقول الأسلاف. يراجع : صـ ١٥٥ وما بعدها من (قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني) للباحثة (ثقبايت حامدة) رسالة تخصص (ماجستير) من كلية الآداب واللغات– جامعة مولود معمري (تيزو وزو) بالجزائر سنة ٢٠١٢م. وكان قد أتى على ذلك أيضا الدكتور. صبحي إبراهيم الفقي صـ ٢٢٨ من مؤلفه المرقون بـ(التداولية عند ابن جني دراسة تطبيقية في كتاب الخصائص العدد ٣٩ من مجلة الدراسات الشرقية مصر ٢٠٠٧م.

(٣) مدخل إلى كتابى عبدالقاهر الجرجانى د: محمد أبو موسى ص .٣٦ . ط/١ مكتبة وهبة بالقاهرة ١٩٩٨م.

ولم تكن عقول الفقهاء والأصوليين[١] خلوا من عتبات التداولية، بل كانت لهم تطبيقات إجرائية قطعية الدلالة على تمثلهم لهاته القضية، ومنهم ابن رشد المتوفي (٥٩٥هـ)[٢]، وفخر الدين الرازي المتوفى (٦٠٦هـ)[٣]، فضلا عن الفارابي المتوفى (٣٣٨هـ)[٤]، والقرافي المتوفى (٦٨٤هـ)[٥].

كل هذا يجعل القلم مطمئنا عند القول بأن ظاهرة الأفعال الكلامية التي تمثل البؤرة المركزية الأولى للنظرية التداولية[٦] لم يغفل عنها رواد الأسلاف، وإن قال بعض التداوليين بـ " أن البحث فيها في تضاعيف هذا التراث الضخم لم يكن مقصودا دائما لذاته، ولكن كثيرا ما قصد به غيره"[٧].

على أن "الظاهرة موضوع الدراسة لم تتضرر بكون بحث كثير من العلماء لها بحثا عرَضيا، غير مقصود لذاته، وهم الأصوليون والمناطقة،

---

(١) عقد مسعود صحراوي فصلا خاصا بهذا الأمر هو الفصل الرابع من كتاب التداولية عند العلماء العرب صـ ١٢٩.

(٢) يراجع التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي صـ ١٦٧. ويراجع أيضا: بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ٢/٧٤-ط/٦- دار المعرفة بيروت ١٩٨٣م.

(٣) يراجع: البحث النحوي عند الأصوليين للدكتور/مصطفى جمال الدين صـ ٣٠٥ المكتبة الوطنية ببغداد ١٩٨٠م.

(٤) بيان ذلك مفصلا في صـ ٨٠ من نظرية الأفعال الكلامية لطالب هاشم الطبطبائي. ويراجع: صـ ١٥١ من التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي. وينظر أيضا صـ ١٥٣ هامش ٢.

(٥) يراجع مفصلا صـ ١٣٣ وما بعدها من: التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي.

(٦) يرى بعض المهتمين بالشأن التداولي أن "التداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلامية، وأن الأفعال الكلامية تظل واحدا من أهم المجالات في الدرس التداولي إن لم تكن أهمها جميعا". الاستلزام الحواري في سورة البقرة صـ ٣٢.

(٧) نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغين العرب لطالب سيد هاشم الطبطبائي صـ (د) منشورات جامعة الكويت ١٩٩٤م.

بخلاف بحث البلاغيين والنحاة الذي كان في صميم التخصص اللغوي، وكان البحث فيها عندهم مقصودا لذاته، بل إن بحث الأصوليين والمناطقة للظاهرة زادها عمقا ودقة"[١].

وكما أن الأفعال الكلامية بصفتها فرعا حيويا من فروع التداولية حظيت باهتمام البلاغة العربية، فإن السياق هو الآخر – وهو من فروع التداولية – كان في دائرة اهتمام السلف؛ حيث " بدت فكرة المقام واضحة عند العرب القدماء بجميع ملابساتها، وبرزت في مجموعة من القضايا"[٢]، ومن أهم هذه القضايا " الدراسات القرآنية التي كان أساسها فهم القرآن الكريم، فقد اقتضت الغاية بالكتاب المقدس الخوض في مسائل لغوية متعددة، وهذا ما كان متمثلا عند الجرجاني في دلائل الإعجاز، الجاحظ في البيان والتبيين، وفخر الدين الرازي في التفسير الكبير، والسكاكي في مفتاح العلوم"[٣] فقد " تنبهت البلاغة العربية أيضا إلى أهمية المقام عند تشكيل الأسلوب البلاغي، فنهض علم المعاني على مراعاة المقام، واتساق الكلام مع مقتضى الحال ..... فالعلاقة بين الشكل والمضمون علاقة مقامية"[٤].

وهكذا " عرف العلماء العرب في العصور القديمة فكرة التداولية، بمفهومها العلمي، وناقشوها في كثير مما وصلنا من تراث غني، وهم وإن لم

---

(١) التداولية عند علماء العرب لمسعود صحراوي صـ ٥٦.

(٢) المتكلم والسامع في البلاغة العربية دراسة تداولية لأشكال العلاقة بينهما للباحثة إيمان تومي صـ ٢٦. مذكرة مقدمة لنيل درجة الماستر في الآداب واللغة العربية بجامعة بسكرة بالجزائر.

(٣) السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية لعبدالنعيم خليل صـ ١٠٨ ط/١ دار الوفاء بالإسكندرية.

(٤) المقام في ضوء (البراغماتية) النظرية والتطبيق صـ ١٨، وهي أطروحة دكتوراة للباحثة منال محمد سيد هاشم نجار – كلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية لسنة ٢٠٠٤م.

يؤصلوا لمصطلح التداولية بلفظه فقد توفروا على كل ما تهتم به من مظاهر لغوية"[١].

وعليه فإن "هذه التيارات التداولية الحديثة لا تمثل إلا الخلاصات والنتائج حينما نقرنها ببدايات الدرس اللساني العربي؛ حيث لا تكون تلك المفاهيم سوى حلقة أخيرة في سلسلة طويلة من جهود التحيين التي طالت مختلف المفاهيم التداولية للمفاهيم"[٢].

ومن ثم فإن الحكم على البلاغة العربية الأصيلة بأنها بلاغة جافة مكررة، وُضعت على صعيد عسير التناول، ضيق الأفق حكم يفتقر إلى الدليل والبرهان، وهو كذلك حكم يقصي التراث بِطُمِّ طميمه بدعوى أن القطع معه هو ثمن الحداثة، وضريبة مواكبة العصر[٣].

❁❁❁❁❁

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لمحمود نحلة صـ ٩.

(٢) أقلمة المفاهيم التداولية لنظرية النظم – قص للمسارات البلاغية والفلسفية والنحوية للدكتور. محمد الأمين بحري صـ ٤ – العدد السابع من مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة بسكرة بالجزائر لسنة ٢٠١٠م.

(٣) ينظر: الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقزويني لصابر الحباشة صـ ١٨٩ – ط/١ الدار المتوسطية للنشر بتونس ٢٠٠٩م.

# القصيدة محل الدراسة

## ومعاقدها السياقية

### رائية عمر ابن أبي ربيعة[1]

١- أَمِـــن آلِ نُعـــمٍ أَنـــتَ غـــادٍ فَمُبكِـــرُ غَـــداةَ غَـــدٍ، أَم رائِـــحٌ فَمُهَجِّـــرُ ..؟!
٢ – لِحاجَـــةِ نَفـــسٍ لَم تَقُـــل في جَوابِهـــا فَتُبلِـــغَ عُـــذراً، وَالمَقالَـــةُ تُعـــذِرُ .. !
٣- أهـيمُ إِلى نُعْـمٍ فَـلا الشَـملُ جـامِعٌ، .. وَلا الحَبـلُ مَوصـولٌ، وَلا القَلـبُ يُقصِـرُ!
٤ – وَلا قُـربُ نُعْـمٍ إِنْ دَنَـت لـك نـافعٌ، وَلا نَأيُهـا يُسْـلِي، وَلا أَنـتَ تَصـبِرُ !
٥ – وَأُخـرى أَتَـت مِـن دونِ نُعـمٍ، وَمِثلُهـا نَهـى ذا النُهـى لَـو تَرعَـوي أَو تُفكِّـرُ !
٦ – إِذا زُرتُ نُعمًـا لَم يَـزَل ذو قَرابَـةٍ لَهـا، كُلَّمـا لاقَيتُهـا، يَتَنَمَّـرُ .. !
٧ – عَزيـزٌ عَلَيـهِ أَن أُلِمَّ بِبَيتِهـا .. يُسِـرُّ لِيَ الشَـحناءَ، وَالـبُغضُ يُظهَـرُ !
٨ – أَلِكـني إِلَيهـا بِالسَـلامِ فَإِنَّـهُ، يُشَـهَّرُ إِلمـامي بِهـا، وَيُنَكَّـرُ .. !
٩ – بِآيَـةِ مـا قالَـت غَـداةَ لَقيتُهـا بِمَـدفَعِ أَكنـانٍ: أَهَـذا المُشَـهَّرُ ؟!
١٠ – قِفـي فَـانظُري أَسماءُ هَـل تَعرِفينَـهُ ؟ أَهَـذا المُغـيريُّ الَّـذي كـانَ يُـذكَرُ ؟!
١١ – أَهَـذا الَّـذي أَطرَيـتِ نَعتًـا، فَلَـم أَكُـن، وَعَيشِـكِ، أَنسـاهُ إِلى يَـومِ أُقبَـرُ .. !
١٢ – فَقالَـت: نَعَـم، لا شَـكَّ غَيَّـرَ لَونَـهُ .. سُـرى اللَيـلِ، يُحيـي نَصَّـهُ وَالتَهَجُّـرُ !
١٣ – لَـئِن كـانَ إِيّـاهُ، لَقَـد حـالَ بَعـدَنا عَـنِ العَهـدِ، وَالإِنسـانُ قَـد يَتَغَيَّـرُ !
١٤- رَأَت رَجُـلاً، أَمّـا إِذا الشَـمسُ عارَضَـت فَيَضـحى، وَأَمّـا بِالعَشـيِّ فَيَخصَـرُ .. !
١٥ – أَخـا سَـفَرٍ، جَـوّابَ أَرضٍ، تَقاذَفَـت بِـهِ فَلَـواتٌ، فَهـوَ أَشـعَثُ أَغبَـرُ .. !
١٦ – قَليـلٌ عَلـى ظَهـرِ المَطِيَّـةِ ظِلُّـهُ، سِـوى مـا نَفـى عَنـهُ الـرِداءُ المُحَبَّـرُ !
١٧ – وَأَعجَبَهـا مِـن عَيشِـها ظِـلُّ غُرفَـةٍ، وَرَيّـانُ مُلتَـفُّ الحَـدائِقِ أَخضَـرُ .. !
١٨ – وَوالٍ كَفاهـا كُـلَّ شَـيءٍ يَهُمُّهـا، فَلَيسَـت لِشَـيءٍ آخِـرَ اللَيـلِ تَسـهَرُ !
١٩ – وَلَيلَـةَ ذي دَوْرَانَ جَشَّـمتِني السُـرى، وَقَـد يَجشَـمُ الهَـولَ المُحِـبُّ المُغَـرِّرُ !
٢٠ – فَبِـتُّ رَقيبًـا لِلرِفـاقِ عَلـى شَـفًا، أُحـاذِرُ مِـنهُم مَـن يَطـوفُ، وَأَنظُـرُ .. !

(١) ديوان عمر ابن أبي ربيعة بشرح محمد محيي الدين عبدالحميد صـ ٨٤ – ط/١ مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٢م.

٢١ – إلَـيهِم، مَـتى يَستَمكِنُ النَـومُ مِـنهُمُ؟ وَلي مَجلِـسٌ لَـولا اللُبانَـةُ أَوعَـرُ .. !
٢٢ – وَباتَـت قَلوصـي بِـالعَراءِ وَرَحلُهـا، لِطـارِقِ لَيـلٍ أَو لِمَـن جـاءَ مُعـوِرُ .. !
٢٣ – وَبِـتُّ أُناجي الـنَفسَ: أَيـنَ خِباؤُهـا ؟ وَكَيـفَ لِمـا آتي مِـنَ الأَمـرِ مَصـدَرُ .. ؟!
٢٤ – فَـدَلَّ عَلَيهـا القَلـبُ رَيّـا عَرَفتُهـا لَهـا، وَهَـوى الـنَفسِ الَّـذي گـادَ يَظهَـرُ .. !
٢٥ – فَلَمّـا فَقَـدتُ الصَـوتَ مِـنهُم، وَأُطفِئَـت مَصـابيحُ، شُـبَّت في العِشـاءِ وَأَنـوُرُ .. !
٢٦ – وَغـابَ قُمَـيرٌ كُنـتُ أهـوى غُيوبَـهُ، وَرَوَّحَ رُعيـانُ، وَنَـوَّمَ سُمَّـرُ ..!
٢٧ – وَخُفِّـضَ عَـنّي النَـومُ، أَقبَلـتُ مِشـيَةَ ال حُبـابِ، وَشَخْصِـي خَشـيَةَ الحَـيِّ أَزوَرُ ..!
٢٨ – فَحَيَّيـتُ إِذ فاجَأتُهـا، فَتَوَلَّهَـت، وَكـادَت بِمَخفـوضِ التَحِيَّـةِ تَجهَـرُ .. !
٢٩ – وَقالَـت وَعَضَّـت بِالبَنـانِ: فَضَـحتَني، وَأَنـتَ اِمـرُؤٌ مَيسـورُ أَمـرِكَ أَعسَـرُ !
٣٠ – أَرَيتَـكَ إِذ هُنّـا عَلَيـكَ، أَلَم تَخَـف؟ وُقيـتَ، وَحَـولي مِـن عَـدُوِّكَ حُضَّـرُ .. !
٣١ – فَـوَ اللهِ مـا أَدري، أَتَعجيـلُ حاجَـةٍ سَرَت بِكَ، أَم قَد نامَ مَن كُنتَ تَحذَرُ .. !
٣٢ – فَقُلتُ لَها: بَل قادَني الشَوقُ وَالهَوى إِلَيكِ، وَما عَينٌ مِنَ الناسِ تَنظُرُ .. !
٣٣ – فَقالَت وَقَد لانَت وَأَفرَخَ رَوعُها: كَـلاكَ بِحِفـظٍ رَبُّـكَ المُتَكَـبِّرُ .. !
٣٤ – فَأَنـتَ، أَبـا الخَطّـابِ، غَـيرُ مُـدافَعٍ، عَلَـيَّ أَمـيرٌ، مـا مَكُثـتَ، مُـؤَمَّرُ .. !
٣٥ – فَبِـتُّ قَريـرَ العَـينِ، أُعطيـتُ حـاجَتي، أُقَبِّـلُ فاهـا في الخَـلاءِ فَـأُكثِرُ .. !
٣٦ – فَيـا لَـكَ مِـن لَيـلٍ تَقاصَـرَ طولُـهُ، وَمـا كـانَ لَيلـى قَبـلَ ذَلِـكَ يَقصُـرُ .. !
٣٧ – وَيـا لَـكَ مِـن مَلهـىً هُنـاكَ وَمَجلِـس لَنـا، لَم يُكَـدِّرهُ عَلَينـا مُكَـدِّرُ .. !
٣٨ – يَمُـجُّ ذَكِـيَّ المِسـكِ مِنهـا مُفَلَّـجٌ، رَقيـقُ الحَواشـي، ذو غُـروبٍ مُؤَشَّـرُ .. !
٣٩ – تَـراهُ إِذا تَفتَـرُّ عَنـهُ، كَأَنَّـهُ حَصـى بَـرَدٍ، أَو أُقحُـوانٌ مُنَـوِّرُ .. !
٤٠ – وَتَرنـو بِعَينَيهـا إِلَيَّ، كَمـا رَنـا إِلى ظَبيَـةٍ وَسـطَ الخَميلَـةِ، جُـؤذَرُ !
٤١ – فَلَمّـا تَقَضّـى اللَيـلُ إِلّا أَقَلَّـهُ، وَكـادَت تَـوالي نَجمِـهِ تَتَغَـوَّرُ .. !
٤٢ – أَشـارَت، بِـأَنَّ الحَـيَّ قَـد حـانَ مِـنهُمُ هُبـوبٌ، وَلَكِـن مَوعِـدٌ مِنـكَ عَـزوَرُ !
٤٣ – فَمـا راعَـني إِلّا مُنـادٍ: تَرَحَّلـوا، وَقَـد لاحَ مَعـروفٌ مِـنَ الصُـبحِ أَشـقَرُ !
٤٤ – فَلَمّـا رَأَت مَـن قَـد تَنَبَّـهَ مِـنهُمُ وَأَيقـاظَهُم، قالَـت: أَشِـر كَيـفَ تَـأمُرُ ؟
٤٥ – فَقُلـتُ: أُبـاديهِم، فَإِمّـا أَفـوتُهُم، وَإِمّـا يَنـالُ السَـيفُ ثَـأراً، فَيَثـأَرُ .. !

٤٦ – فَقالَـت: أَتَحقيقًـا لِمـا قـالَ كاشِـحٌ عَلَينـا، وَتَصـديقًا لِمـا كـانَ يُـؤثَرُ ؟!
٤٧ – فَـإِن كـانَ مـا لا بُـدَّ مِنـهُ، فَغَـيرُهُ، مِـنَ الأَمـرِ، أَدنى لِلخَفـاءِ وَأَسـتَرُ !
٤٨ – أَقُـصُّ عَلـى أُختَيَّ بِـدءَ حَـديثِنا وَمـا لِيَ مِـن أَن تَعلَمـا مُتَـأَخَّرُ !
٤٩ – لَعَلَّهُمـا أَن تَطلُبـا لَـكَ مَخرَجًـا، وَأَن تَرحُبـا صَـدرًا بِمـا كُنـتُ أَحصُـرُ !
٥٠ – فَقامَـت كَئيبـاً لَـيسَ في وَجهِهـا دَمٌ، مِـنَ الحُـزنِ، تُـذري عَـبرَةً تَتَحَـدَّرُ .. !
٥١ – فَقامَـت إِلَيهـا حُرَّتـانِ عَلَيهِمـا كِسـاءانِ مِـن خَـزٍّ دِمَقسٌ وَأَخضَـرُ
٥٢ – فَقالَـت لِأُختَيهـا: أَعينـا عَلـى فَـتىً، أَتـى زائِـراً، وَالأَمـرُ لِلأَمـرِ يُقـدَرُ !
٥٣ – فَأَقبَلَتـا فَارتاعَتـا، ثُمَّ قالَتـا: أَقِلّـي عَلَيـكِ اللَـومَ فَالخَطـبُ أَيسَـرُ !
٥٤ – فَقالَـت لَهـا الصُـغرى: سَـأُعطيهِ مِطـرَفي وَدَرعـي وَهَـذا الـبُردُ إِن كـانَ يَحـذَرُ !
٥٥ – يَقـومُ فَيَمشـي بَينَنـا مُتَنَكِّـراً فَـلا سِـرُّنا يَفشـو وَلا هُـوَ يَظهَـرُ !
٥٦ – فَكـانَ مَجَـيّ دونَ مَـن كُنـتُ أَتَّقـي، ثَـلاثُ شُـخوصٍ: كاعِبـانِ وَمُعصِـرُ !
٥٧ – فَلَمّـا أَجَزنـا سـاحَةَ الحَـيِّ قُلـنَ لي: أَلَم تَتَّـقِ الأَعـداءَ وَاللَيـلُ مُقمِـرُ ؟!
٥٨ – وَقُلـنَ: أَهَـذا دَأبُـكَ الـدَهرَ سـادِرًا أَمـا تَسـتَحي، أَو تَرعَـوي، أَو تُفَكِّـرُ ؟!
٥٩ – إِذا جِئـتِ فَـامنَح طَـرفَ عَينَيـكَ غَيرَنـا، لِكَـي يَحسِـبوا أَنَّ الهَـوى حَيـثُ تَنظُـرُ !
٦٠ – فَـآخِرُ عَهـدٍ لي بِهـا حـينَ أَعرَضَـت، وَلاحَ لَهـا خَـدٌّ نَقِـيٌّ، وَمَحجَـرُ .. !
٦١ – سِـوى أَنَّـني قَـد قُلـتُ: يـا نُعـمُ قَولَـةً لَهـا، وَالعِتـاقُ الأَرحَبيّـاتُ تُزجَـرُ !
٦٢ – هَنيئـاً لِأَهـلِ العامِرِيَّـةِ نَشـرُها الـ لَذيـذُ، وَرَيّاهـا الَّـذي أَتَـذَكَّرُ !
٦٣ – وَقُمـتُ إِلى عَـنسٍ تَخَـوَّنَ نَيَّهـا، سُـرى اللَيـلِ، حَـتّى لَحمُهـا مُتَحَسِّـرُ !
٦٤ – وَحَبسـي عَلـى الحاجـاتِ، حَـتّى كَأَنَّهـا: بَقِيَّـةُ لَـوحٍ أَو شِـجارٌ مُؤَسَّـرُ !
٦٥ – وَمـاءٍ بِمَومـاةٍ قَليـلٍ أَنيسُـهُ، بَسـابِسَ، لَم يُحـدُث بِـهِ الصَـيفَ مَحضَـرُ !
٦٦ – بِـهِ مُبتَـنىً لِلعَنكَبـوتِ كَأَنَّـهُ عَلـى طَـرَفِ الأَرجـاءِ خـامٌ مُنَشَّـرُ !
٦٧ – وَرِدتُ، وَمـا أَدري أَمـا بَعـدَ مَـوردي مِـنَ اللَيـلِ، أَم مـا قَـد مَضـى مِنـهُ أَكثَـرُ ؟!
٦٨ – فَقُمـتُ إِلى مِغـلاةِ أَرضٍ كَأَنَّهـا: إِذا اِلتَفَتَـت مَجنونَـةٌ حـينَ تَنظُـرُ !
٦٩ – تُنـازِعُني حِرصًـا عَلـى المـاءِ رَأسَـها، وَمِـن دونِ مـا تَهـوى قَليـبٌ مُغَـوَّرُ !
٧٠ – مُحاوِلَـةً لِلمـاءِ، لَـولا زِمامُهـا، وَجَـذبي لَهـا، كـادَت مِـراراً تَكَسَّـرُ !

٧١ – فَلَمّـا رَأَيـتُ الضَـرَّ مِنهـا، وَأَنَّـني بِبَلـدَةٍ أَرضٍ لَـيسَ فيهـا مُعَصَّـرُ !
٧٢ – قَصَرتُ لَها مِن جانِبِ الحَوضِ مُنشَأً جَديدًا، كَقابِ الشِبرِ أَو هُوَ أَصغَرُ !
٧٣ – إِذا شَرَعَت فيهِ، فَلَيسَ لِمُلتَقى مَشافِرِها مِنهُ قِدى الكَفِّ مُسأَرُ !
٧٤ – وَلا دَلوَ إِلّا القَعبُ كانَ رِشاءَهُ إِلى الماءِ نِسعٌ وَالأَديمُ المُضَقَّرُ !
٧٥ – فَسافَت، وَما عافَت، وَما رَدَّ شُربَها عَنِ الرَيِّ، مَطروقٌ مِنَ الماءِ أَكدَرُ !

## المعاقد السياقية للقصيدة:

بما أن الدراسة تنطلق من الاستلزام الحواري للقصيدة فإن معنى ذلك أن الحوار لُبُّ الجَدّ، ومهماز الفخ بالنسبة لهذه الدراسة، " والخصائص التداولية التي تميز التفاعل التواصلي تبتدئ بالتعدد السياقي الذي يميز الأقوال؛ مما يجعل القائلين لا يقفون عند القصد الإخباري للأقوال، بل يتعدون ذلك إلى معانٍ سياقية تداولية تحكم العلاقة بين أطراف الخطاب"[(١)]. ومن ثم فلابد من تحديد الوحدات الحوارية، أو المعاقد السياقية الكبرى في الرائية، وذلك على ضوء تعيين المعنى المركزي للقصيدة المتمحور في بؤرة الغزل المنطلق من رؤية الشاعرِ ذاتَه المتضخمةَ على صفحة مرآته المحدبة.

**فهو الفتى المعشوق قبل العاشق ... وهو الحبيب إلى الحسان المُيَّس**[(٢)]

من هذه الرؤية المسيطر فيها الـ(أنا) راح هذا الفتى المدلل، والشاعر الموهوب يعزف أهازيج الهوي على قيثارة العشق، موقعا ألحان الحب على أوتار الصبابة.

**منتجا أغرودة البوح الرقيق ... نغْمة سحرية تسبي القلوب**[(٣)].

(١) الحوار وخصائص التفاعل التواصلي للدكتور محمد نظيف صـ ٨ ط/١ أفريقيا الشرق بالمغرب ٢٠١٠م.
(٢) هذا بيت من الكامل، وهو من نظم الباحث.
(٣) هذا بيت من الرمل، وهو من نظم الباحث.

على أن هذا المعنى الجملي العام، أو السياق الكلي للرائية تنضوي تحته مجموعة من الأسيقة الجزئية المتعانقة عبر سلسلة من التشابكات المتعالقة على النحو التالي:

**المعقد السياقي الأول**: تمثله الأبيات من الأول حتى الثامن عشر، وفيه يتحدث عن اعتزامه الرحلة لديار محبوبته (نُعْم).

**المعقد السياقي الثاني**: يستغرق من القصيدة أربعة وأربعين بيتا من البيت التاسع عشر حتى البيت الثاني والستين، وفيها يتطرق للحديث عن الرحلة، وعن مغامرته؛ وصولا لمحبوبته، ويدعوه ذلك للافتخار بنفسه على لسان غيره.

**المعقد السياقي الثالث**: هذا المعقد وَقَفَهُ الشاعر على ناقته، لا يتحدث عن سواها، وعداده ثلاثة عشر بيتا، من البيت الثالث والستين حتى منتهى القصيدة عند البيت الخامس والسبعين.

والدراسة قائمة على واحد من أهم فروع التداولية، وهو الاستلزام الحواري الذي يتكون من الكلمتين: (استلزام – حوار[1]): أما الاستلزام فمن (اللزوم) المقتضي وجود آليات وضوابط معينة يتوجب على أطراف الحوار التقيد بها، وعدم خرقها إلا لهدف، وذلك يستلزم من الباحث النظر في المدونة مناط الدراسة التي بين يديه، وهي رائية عمر ابن أبي ربيعة؛ لا لمعرفة الجمل الملتزِمة حواريا بمعايير التخاطب الناجح التي تواضع عليها الألسنيون (قواعد

(١) "يعرف الحوار على نحو عام على أنه: تبادل الكلام بين اثنين أو أكثر، أو أنه نمط تواصل، حيث يتبادل، ويتعاقب الأشخاص على الإرسال والتلقي". معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ترجمة سعيد علوش صـ ٧٨ ط/١ دار الكتاب اللبناني بيروت، و(شوسبريس) الدار البيضاء ١٩٨٥م. وينظر: الحوار في الشعر العربي القديم شعر امرئ القيس نموذجا د. محمد سعيد حسين مرعي صـ ٦٠ مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية العدد الثالث المجلد الرابع عشر لسنة ٢٠٠٧م.

كرايس)[١]، بل لمباحثة الجمل المخترِقة لقواعد (كرايس)، أو المنتهكة لمعايير التخاطب؛ للكشف عن غاية هذا الخرق، والمستهدف من ذاك الانتهاك.

وإنما ركزت الدراسة فقط على المناطق المخترقة حواريا؛ لكون "الاستلزام الحواري يتولد من خرق مبادئ الحوار حصرا"[٢]، ولكون نظرية (كرايس) قائمة بالأساس على توظيف قواعد المحادثة، وإنما يتحقق ذلك "عندما ينتهك قائل ما بصورة جلية هذه القاعدة أو تلك، وعلى مخاطبه في هذه الحالة القيام بفرضيات تمكن من تفسير انتهاك القواعد"[٣]

وبالرجوع إلى ملف القصيدة محل الدراسة يظهر للدارس قيام تحاور ناجح بين طرفيْ العملية التخاطبية الباثّ، ويمثله هنا الشاعر عمر ابن أبي ربيعة وبين المستقبِل المتمثل في كل من يتلقى القصيدة سماعا أو قراءة، وهذا النجاح مرجعه في الأعم الأغلب الخرق المتعمد لمبادئ الحوار وفقا لـ (كرايس)، ذلك الخرق الدافع للمتلقي نحو التأويل بعيدا عن المعنى الحرفي لنص الخطاب، وذلك بمعونة الأسيقة المتحابة: سياق اللغة، وسياق المقام، وسياق الموقف.

هذا، وقد سلطت الدراسة الضوء في فضاء مدونة الدراسة على الاستلزام التخاطبي الإنشائي متمثلا في الاستفهام، والاستلزام الحواري المجازي متمثلا في الاستعارة والكناية، وقد بلغ مجموع الجمل المنتهكة لمبادئ الحوار إنشائيا ومجازيا طبقا لنظرية (كرايس) في القصيدة سبعا وثلاثين جملة: اثنتا

---

(١) ينظر: صـ ١٣ من هذه الدراسة. حيث قاعدة الكيف وقاعدة الكم وقاعدة العلاقة أو الملائمة، وقاعدة الجهة.

(٢) القاموس الموسوعي للتداولية لـ (جاك موشلار) و(آن ريبول) صـ ٥٧١ ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين بالجامعات التونسية بإشراف عز الدين المجدوب مراجعة خالد ميلاد ط/١ دار جبل سيناترا ٢٠١٠م. وينظر: شعر أبي نواس دراسة تداولية صـ ٢٥٤.

(٣) شعر أبي نواس دراسة تداولية صـ ٢٦٣ ، وينظر: التداولية اليوم صـ ٥٧.

عشرة جملة من نصيب الاستفهام، وتسع جمل من نصيب الاستعارة، وست عشرة جملة من نصيب الكناية، وقد بدأت الدراسة بالاستفهام، وثنّت بالاستعارة، وختمت بالكناية؛ مجاراة للمتعارف عليه بلاغيا من ترتيبٍ درج على جعل الكناية بعد الاستعارة، وسبق الخبر والإنشاء للثنتين.

## المبحث الأول:

### الاستلزام الحواري والاستفهام:

بمراجعة فضاء النص وقعت العين على مجموعة من الجمل المخترقة لقواعد (كرايس) الحوارية؛ مما تحقق معه استلزام حواري توجب على المستقبل التعامل معه بما يستلزمه؛ من تحريف بوصلة الحوار، وتعديل مسار المعاني وفق ما يتطلبه التواصل التخاطبي الذي يعتمد مبدأ الكفاءة اللغوية في كل من الباثّ والمستقبل.

وقد بلغت الجمل المخترقة لمبادئ كرايس في جميع أبيات القصيدة الخمسة والسبعين اثنتيْ عشرة جملة استفهامية جاءت على النحو التالي: (أَمِن آلِ نُعمٍ أَنتَ غادٍ فَمُبكِرُ غَداةَ غَدٍ، أَم رائِحٌ فَمُهَجِّرُ؟!. أَهَذا المُشَهَّرُ ؟! .... هَل تَعرِفينَهُ ؟ ... أَهَذا المُغيريُّ الَّذي كانَ يُذكَرُ ؟! ..... أَهَذا الَّذي أَطرَيتِ نَعتًا؟! ... مَتى يَستَمكِنُ النَومُ مِنهُمُ؟ ... كَيفَ لِما آتي مِنَ الأَمرِ مَصدَرُ؟! ... أَلَم تَخَف؟ وُقيتَ، وَحَولي مِن عَدُوِّكَ حُضَّرُ! ... فَقالَت: أَتَحقيقًا لِما قالَ كاشِحٌ عَلَينا، وَتَصديقًا لِما كانَ يُؤثَرُ ؟! ... أَلَم تَتَّقِ الأَعداءَ وَاللَيلُ مُقمِرُ ؟! ... أَهَذا دَأبُكَ الدَهرَ سادِراً أَما تَستَحي، أَو تَرعَوي، أَو تُفَكِّرُ ؟! وَردتُ، وَما أَدري أَما بَعدَ مَوردِي مِنَ اللَيلِ، أَم ما قَد مَضى مِنهُ أَكثَرُ!).

هذا، وقد كان للدراسة وقفة مع كل جملة من هاتيك الجمل المخترقة لقواعد (كرايس) الحوارية؛ فجاءت الوقفات على الوجه الآتي:

**الوقفة الأولى:**

يرصدها الباحث في البيت الأول من القصيدة، ويمثلها الاستفهام : أَمِن آلِ نُعمٍ أَنتَ غادٍ فَمُبكِرُ غَداةَ غَدٍ، أَم رائِحٌ فَمُهَجِّرُ؟!؛ حيث خالفت الجملة إحدى قواعد (كرايس) المسماة بقاعدة الجهة أو الكيفية[1]، وهي قاعدة تلزم المتكلم بالوضوح المقتضي استعمال الكلمات والجمل فيما يدل عليه معناها الحرفي، أو محتواها القضوي، وهذا المعنى الحرفي يسميه (كرايس) "القوة الإنجاز الحرفية، وهي تلك المدركَة مقاليا من دلالة المقال"[2]، بيد أن هذا لم يحدث في جملة الاستفهام مطلع القصيدة؛ حيث خرج الشاعر بكلامه عن دائرة الدلالة المباشرة للكلام، سابحا في فلك الدلالة غير المباشرة، تاركا لفطانة المستقبِل مهمة فك تشفيره المتعمد لرسالته ، وهو بهذا لا يبتعد عن معيار الكفاءة التداولي المتطلب كفاءة لغوية في مستقبل الرسالة تؤهله لفهم قصدية الباثّ، والمعنى المباشر للاستفهام هنا يتقوقع في استعلام الشاعر عن ترحله عن ديار الحبيبة من عدمه، ويُستدل على هذه القوة الإنجازية المباشرة بالدلالة الحرفية للاستفهام التي هي طلب حصول الفهم، والشاعر لا يقصد هذا المعنى المباشر، ولكن يستحصد من وراء هذا المحتوى القضوي لجملة الاستفهام معنى آخر كامنا وراء الدلالة الحرفية، "يسميه (كرايس) القوة الإنجازية المستلزَمة، وهي تلك القوة المدركة مقاميا، والتي تستلزمها الجملة في سياقات

(١) هذه القاعدة "لا ترتبط بما قيل، بل بما يراد قوله، والطريقة التي يجب أن يقال بها، والهدف منها تجنب الإضطراب والملل والإيجاز المخل في القول، فهي ترتبط إذن بالقاعدة الأساسية التي نعبر عنها بـ " التزم الوضوح"، وتتفرع إلى: (أ) لنحترز من الالتباس،(ب) لنحترز من الإجمال، (ج) لتتكلم بإيجاز، (د) لترتب كلامك". الاستلزام الحواري في التداول اللساني للعياشي أدواري صـ ٩٥ وما بعدها، وينظر: شعر أبي نواس دراسة تداولية لحسين عمران صـ ٢٣٦.

(٢) الأمر والنهي في اللغة العربية لنعيمة الزهري صـ ١٥٩-١٦٠ط/١ مطبعة المعارف الجديدة بالرباط ١٩٩٧م.

مقامية"[١] معينة، وذلك المعنى الآخر يتمثل في التحسر والتأسف على رحيله المزمع، وإشفاقه من بعده المتوقع، وبذلك يكون الباث، وهو هنا عمر ابن أبي ربيعة، قد تعمد الإخلال بواحدة من قواعد (كرايس) في نظريته الشهيرة (الاستلزام الحواري[٢]) وهي قاعدة الجهة، وقد نبه (كرايس) على ذلك الإخلال بالدلالة الحرفية، أو المعاني القضوية للجمل إلى دلالات أُخر غير مباشرة بما يخدم الهدف، ويسعى لتحقيق المرام [٣]. وأشار إلى أن "الاستلزام الحواري يتولد من خرق مبادئ الحوار حصرا"[٤].

**الوقفة الثانية:**

مع الجمل المنتهكة لقواعد (كرايس) تتمفصل عند أربع جمل استفهامية سجلها الشاعر على لسان محبوبته (نُعْم) لما رأت حبيبها عمر، وقد غيرت هيئته الليالي، وأخذت من روائه الأيام، وأشعثته الرحلة إليها، وبدّل ملامحه طول السفر؛ فاندفعت (نُعْم) ناطقة بأربع جمل استفهامية، وكلها جاءت منتهكة لقواعد (كرايس) الحوارية التداولية، وهذه الجمل هي: (أَهَذا المُشَهَّرُ ؟! .... هَل تَعرِفينَهُ ؟ ... أَهَذا المُغيريُّ الَّذي كانَ يُذكَرُ ؟! ..... أَهَذا

(١) الاستلزام الحواري في التداول اللساني للعياشي أدراوي صـ ٩٧ .

(٢) يرى الفيلسوف الأمريكي (جون بول كرايس)"أن المتخاطبين لا يندفعون إلى التبادلات الكلامية إلا وهم يسلمون بالتعاون فيما بينهم لإنجاح هذه التبادلات، وتحقيق الأغراض التي راموها من وراء هذا الاندفاع".التداولية الاهتمام والمفاهيم والأهداف محمد رخروخ صـ ١.

(٣) "لاحظ (كرايس) أن جمل اللغات الطبيعية يمكن – في بعض المقامات – أن تدل على معنى غير الذي يوحي به محتواها القضوي، أو معناها الحرفي"اللسانيات الوظيفية مدخل نظري لأحمد المتوكل صـ ٢٦.

(٤) القاموس الموسوعي للتداولية لـ (جاك موشلار) و(آن ريبول) صـ ٥٧١ ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين بالجامعات التونسية بإشراف عز الدين المجدوب مراجعة خالد ميلاد ط/١ لسنة ٢٠١٠م. وينظر: شعر أبي نواس دراسة تداولية صـ ٢٥٤.

الَّذي أَطرَيتِ نَعتًا؟!)، وقد جاءت الجمل الأربع ضمن جمهرة أبيات من القصيدة حمَّلَها الشاعر بحمولات دلالية غير مباشرة؛ حيث يقول:

أَلِكـــني إِلَيهـــا بِالسَـــلامِ فَإِنَّـــهُ، يُشَـــهَّرُ إِلمـــامي بِهـــا، وَيُنَكَّـــرُ .. !
بِآيَـــةِ مـــا قالَـــت غَـــداةَ لَقيتُهـــا بِمَـــدفَعِ أَكنـــانٍ: أَهَـــذا المُشَـــهَّرُ ؟!
قِفي فَـانظُري أَسماءُ هَـل تَعرِفينَـهُ ؟ أَهَـذا المُغيريُّ الَّـذي كـانَ يُـذكَرُ ؟!
أَهَذا الَّذي أَطرَيتِ نَعتًا، فَلَم أَكُن، وَعَيشِـكِ، أَنسـاهُ إِلى يَومِ أُقبَـرُ .. !
فَقالَت: نَعَم، لا شَكَّ غَيَّرَ لَونَهُ .. سُرى اللَيلِ، يُحيِي نَصَّهُ وَالتَهَجُّرُ !
لَـئِن كـانَ إِيّـاهُ، لَقَـد حـالَ بَعـدَنا عَـنِ العَهـدِ، وَالإِنسـانُ قَـد يَتَغَيَّـرُ !

المحتوى القضوي للجمل الأربع يتمثل في القوة الإنجازية الحرفية لهذه المتتاليات النصية: (أَهَذا المُشَـهَّرُ ؟! .... هَل تَعرِفينَـهُ ؟ ... أَهَذا المُغيريُّ الَّذي كانَ يُذكَرُ ؟! ..... أَهَذا الَّذي أَطرَيتِ نَعتًا؟!)، غير أنه لوحظ اعتبارا للسياق العام الذي وردت فيه هاته الجمل الأربع " خروج الملفوظ عن معناه الحقيقي إلى عدة معانٍ استنتاجية ذهنية يجتهد المتلقي في التعرف عليها، معانٍ ذات طبيعة غير مستقرة توافق الحالة التي يصدر عنها"[(١)]، وعندما يريد الباحث أن يعطي بعدا استلزاميا لهذه الجمل فإنه لا يُعنَى بمعرفة معنى ما يقوله المتحدث، إذ إن معناه قارّ في منطوقه، مدلول عليه به، وإنما الهدف في دراسة البعد الاستلزامي الكشف عما يريد أن يقوله المتحدث في سياق معين[(٢)]؛ فمن المركوز في الطباع " أن في الكثير من الأحيان يلاحظ أثناء عملية التخاطب أن معنى العديد من الجمل إذا روعي ارتباطها بمقامات إنجازها لا ينحصر فيما تدل عليه صيغها الصورية"[(٣)]. وهذا عين ما حدث في

(١) لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب لـ (الحاج حمو ذهبية) صـ ١٢٣ ط/١منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة مولود معمري تيزي وزو الجزائر ٢٠٠٥م.
(٢) ينظر: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب لـ (الحاج حمو ذهبية) صـ ١٢٤.
(٣) الاستلزام الحواري في التداول اللساني للعياشي أدواري صـ ١٨.

هذا السياق؛ حيث انتقل المستقبل بملفوظ الجمل الأربع من قوة الملفوظ الإنجازية الحرفية، ومحتواها القضوي المدرك مقاليا، والمتمثل في أدوات الاستفهام (الهمزة وهل) إلى بعد استلزامي يتمظهر في القوة الإنجازية المستلزَمة، وهي تلك القوة المدركة مقاميا بدلالة المراتب المقامية، والأسيقة المختلفة، والسياق هنا يقضي بحمل الاستفهام على التعجب، والتعجب هنا يمثل في نظرية الاستلزام الحواري الفعل الإنجازي التأثيري الذي يسعى إليه الباث من خلال رسالته المبثوثة إلى المستقبل ذي الكفاءة التأويلة المؤهلة لفك شفرة الرسالة؛ فـ" الجمل في استعمالها لا تتحدد بظاهر دلالتها، إذ يمكن أن يتخذ الظاهر ذريعة لتأويل تشترك فيه عدد من المعطيات الداخلة في الخطاب، وكذا المؤطرة لإنتاجه"(١)، وهذا يدل على أن " للجملة وظيفتين دلاليتين: وظيفة أصلية قارة في القواعد المضبوطة، ووظيفة متغيرة تبعا لتغير ظروف الاستعمال، وهي وظيفة لا يمكن أن تقنن إلا حسب الظرف الاستعمالي للمتكلم والمستمع"(٢)

**بمراجعة الجملة الأولى**: (أَهَذا المُشَهَّرُ؟!) يلحظ أن التلفظ بها يتضمن ثلاثة معانٍ هي: المعنى الحرفي، وهو الاستعلام عن المشار إليه، والقوة الإنجازية الملازمة للتلفظ وهي قوة الاستفهام بواسطة الهمزة.

أما المعنى الثالث فهو المعنى الاستلزامي الذي يفاد من السياق، وهو التعجب؛ لأن السياق النصي، وسياق الموقف دلّا على معرفةٍ سابقة وعميقة بين الشاعر المستفهَم عنه، والمستفهِم المتمثل في (نُعم) العاشقة للشاعر التي صرحت في سياق النص القريب جدا بأنها لا تنساه حتى تُقبر، وأن بينهما عهدا يُرعى، وميثاقا في الجوى حاضرا لا يغيب ( لم أكن وعهدِكِ أنساه إلى

(١) دلالة الاستلزام الحواري في الباب السابع عشر من "كليلة ودمنة" لابن المقفع. مقال من ست صفحات للدكتورة ليلى جغام صـ ٦ كلية الآداب واللغات بجامعة محمد خيضر بسكرة بالجزائر منشورات ندوة المخبر اللسانيات من دون تاريخ.

(٢) الاستلزام الحواري في التداول اللساني للعياشي أدواري صـ ١٨.

يوم أقبر .... لقد حال بعدنا عن العهد)، ومن ثم لم يقصد المتكلم الذي هو (نُعْم) بوصفها القريبَ المفاطنَ؛ – إذ هي عاشقة لعمر، خبيرة به= لم تقصد فعلا مباشرا، أو معنى حرفيا قريبا لهذا الاستفهام الذي أطلقته موجهة إياه لصاحبتها (أسماء) ( قفي فانظري أسماءُ هل تعرفينه؟)؛ إذ السياق الذي ورد فيه الاستفهام لا يشير إلى هذا الفهم، ولا يشجع عليه.

وجدير بالرصد هنا أن آلية الانتقال من المعنى الحرفي المباشر للاستفهام إلى المعنى الاستلزامي غير المباشر تمثلت في خرق الشاعر لمبدأ من مبادئ الاستلزام الحواري عند (كرايس)، وهو مبدأ (الكَمّ) لأن الإسهام الحواري للشاعر هنا جاء أكثر من المطلوب من المعلومات؛ ذلك أن قوله على لسان (نُعْم) : ( أهذا المشهّر؟) يقتضي معنى حرفيا يتمثل في إنجاز فعل الاستفهام، وتعيين المستفهَم عنه، لكن لما دلّ سياق النص، وسياق الحال على معرفة عميقة، وشوق متأجج بين الحبيبين امتنع حمل الاستفهام على حقيقته؛ فالمستفهَم عنه معيَّن بالفعل، وهو عمر ابن أبي ربيعة، ولذا أنجز المتكلم بالاستفهام فعلا ضمنيا هو التعجب من شأن المحبوب (الشاعر)، وهذا المعنى الضمني هو المناسب للمقام.

والذي يعزز ذلك الانتقال من المعنى الحرفي للاستفهام إلى المعنى الاستلزامي التخاطبي المتمثل في التعجب تصريحُ الفتاة (نُعْم) الناطقة بجملة الاستفهام بحبها الشاعر المستفهم عنه، وبوحُها بعشقها إياه حتى تقبر؛ مما يستحيل معه حمل الاستفهام على حقيقته.

**وبمراجعة الجملة الثانية**: (هل تعرفينه؟) يتبين أن السياق التداولي لقول الشاعر على لسان فتاته (نُعْم): (هل تعرفينه) أنجز فعلين لغويين، أحدهما مباشر، وهو فعل الاستفهام المدلول عليه حرفيا بقرينة بنيوية هي (هل) الاستفهامية، والثاني غير مباشر، وهو فعل لغوي ضمني يتمثل في التعجب.

والذي قاد لعملية الاستلزام الحواري هنا إنما هو السياق التخاطبي، وسياق النص؛ إذ الجملة الاستفهامية في مقامها السياقي الذي وردت فيه لا تدل على معناها القضوي، ولا يقصد بها القوة الإنجازية الحرفية لفعل الاستفهام المتمثلة في تعيين العاقل المستفهَم عنه؛ لأن هذا العاقل متعين بالطبع، وهو الشاعر عمر ابن أبي ربيعة، ولذا فقد انتقل المتكلم بالمحتوى القضوي للجملة من القوة الإنجازية الحرفية المباشرة إلى إنجاز فعل ضمني متولد من الاستفهام، وهو التعجب من حال الشاعر المستفهَم عنه الذي بدلت ملامحه صروف النوى، وغبرتها متتاليات الليالي، و وغيرتها وقائع الأيام.

على أن هذه الدلالة الاستلزامية التداولية (التعجب) حصلت لما كان المستفهم عنه معلوما لدى المستفهِم المتمثل في فتاة الشاعر (نُعْم)؛ مما يمتنع معه حقيقة الاستفهام، ويتوجب عنده توجه المستقبِل نحو دلالة استلزامية ضمنية عمادها التعجب المناسب للمقام.

ومعلوم هنا أن السر وراء الاستلزام الحواري يكمن وراء خرق مبدأ الكم من مبادئ (كرايس) لأن الشاعر هنا على لسان فتاته لجأ إلى أسلوب الإيجاز؛ فلم تقل (نُعْم) لصاحبتها (أسماء): أطلب منك إخباري بما إذا كنت تعرفين هذا الفتى أم لا؟، وإنما قالت: (هل تعرفينه)، وكذلك نجم الاستلزام الحواري هنا من خرق مبدأ الملائمة؛ فالسؤال عن الشيء في الأصل لا يتصور إلا ممن يجهل ذلك الشيء، و(نُعْم) تعرف محبوبها الشاعر عين اليقين؛ فكيف بها تسأل عنه على الحقيقة؟.

إن العلاقة المستنبطة من هذا الاستلزام الحواري تتمثل في رغبة الشاعر في إبراز دهشة الحبيبة (نُعْم) عند رؤيتها إياه، وتعجبها مما آلت إليه حاله؛ لينفذ من ذلك إلى امتداح نفسه، وخلع حلل الشجاعة عليها، لإبراز معاناته في رحلته إلى اليها، واقتحام المخاطر رغبة فيها، وركوب الموت فوزا باللقاء، من مهامه مهلكة، وعواصف هوج؛ حتى لقد أنكرته الحبيبة مما أصابه!.

**وبمراجعة الجملة الثالثة**: وهي قول الشاعر على لسان الحبيبة (نُعْم): (أَهَذا المُغيريُّ الَّذي كانَ يُذكَرُ؟!) يظهر سر الاستلزام الحواري في الجملة؛ إذ يكمن هذا السر وراء إخلال المتكلم بمبدأ الملائمة؛ فالسائل هنا حبيبة الشاعر (نعم)، والمسؤل عنه إنما هو الحبيب الشاعر عمر، والصلة بينهما – بعدُ – متينة لا تنفصم، قوية لا تخور؛ مما يحمل المستقبِل على البحث عن تأويلات أخرى يحمل عليها الاستفهام الصادر من هذه المحبوبة عن حبيبها الذي تعرفة معرفة العاشق معشوقه؛ وهذا يتعذر معه قبول المعنى الحرفي المباشر المعبأ في هذا المحتوى القضوي المتدثر بالمنطوق الحرفي لجملة الاستفهام.

المحتوى القضوي لجملة الاستفهام يتمثل في المنطوق الحرفي الذي هو قول الشاعر:(أَهَذا المُغيريُّ الَّذي كانَ يُذكَرُ؟!)، والقوة الإنجازية الملازمة للتلفظ به تكمن في قوة الاستفهام المدلول عليها بواسطة الهمزة، وهاتان القوتان بمعونة السياقين النصي والمقامي حملتا المستقبِل على تحريف بوصلة الخطاب؛ للبحث عن تجليات القدرة اللغوية للنص على استثمار اللغة، وشحنها بحمولات دلالية مستلزَمة.

كما استدعى ذلك من المخاطَب بحثا عن تأويل تداولي للخطاب؛ رغبة في الانعتاق من حرفية الاستفهام التعبيرية المتمثلة في طلب الفهم، والانطلاق إلى فضاءات مقامية أرحب، واستلزامات سياقية أغنى، تكون للغرض التداوليّ أخدم، وبالمقام التخاطبيّ أبرّ.

المعنى الاستلزامي التداولي الذي يفيده السياق هنا التعجب؛ لأن الشاعر يريد أن يصور للمستقبل ما تملّك محبوبته من الدهشة لما رأته، وقد تغير وجهه، وبدت عليه وعثاء السفر، وأشعثته وعورة الرحلة، وغبّرته حزونة الطريق؛ ذلك لأن السياق الذي وردت فيه صيغة الاستفهام ليس سياقا استفهاميا، بل سياق تعجبيّ اندهاشيّ صدر من متكلم مذهول سبرت أغوار نفسه الدهشة، وملأت مساربها توابع الآهات، وليس بخفي كون الشاعر انتقل

من الفعل المباشر إلى الفعل غير المباشر عبر قناة تداولية يمثلها الخرق المتعمد لمبدأ الكم، ومبدأ الملائمة.

أما اختراق مبدأ (الكمّ) فيمثله زيادة المعنى الاستلزامي التخاطبي عن المعنى الذي يدل عليه المحتوى القضوي لجملة الاستفهام؛ حيث تخطى هذا المعنى القوة الإنجازية الحرفية الواقفة عند عتبة رفع الجهل عن المستفهم عنه؛ وصولا إلى عتبات الفضاء التعجبي الرحيب، وبذلك يكون قد خرق مبدأ الكم.

أما خرق مبدأ الملائمة فقد حدث عندما صدر من المتكلم الاستفهام عن معلوم لديه؛ فالشاعر حبيب إلى قلب (نُعْم) ولا يخطئه قلبها، فضلا عن نواعس الأطراف.

**وبمراجعة الجملة الرابعة**: (أَهَذا الَّذي أَطرَيتِ نَعتًا؟!) ترصد الدراسة معانيّ تداولية ثلاثة يتضمنها القالب اللفظي لهذه الجملة، وهذه المعاني تتمثل في: المعنى الأول، وهو المحتوى القضوي، أو الاستفهام عن المسؤل عنه، والمعنى الثاني يكمن في القوة الإنجازية الملازمة للتلفظ بالمحتوى القضوي التداولي، ويمثلها الاستفهام المدلول عليه بقوة بنيوية تجسدها الهمزة، والمعنى الثالث هو المعنى الاستلزامي التخاطبي، وهو التعجب المدلول عليه بمعونة سياق الموقف، وسياق النص.

فأما سياق الموقف فيجليه كون الشاعر وقع ألحان قصيدته على أوتار الحب، وأنغام التولُّه بينه وبين الحبيبة؛ فليس من ريب في تواشج القلبين؛ فكيف لا تعرفه؟!.

وأما سياق النص القريب فقد أخبر الشاعر على لسان الحبيبة (نُعْم) أنها لا تنساه طرفة عين، وأن صورته ساطعة في قلبها لا تتوارى، وعن روحها شخصه لا يغيب( لم أكن أنساه إلى يوم أقبر ... لقد حال بعدنا عن العهد).

ومن ثم فليس معقولا أن تقصد الحبيبة (نُعْم) بلفظ الاستفهام الهمزة في قولها: (أَهَذا الَّذي أَطرَيتِ نَعتًا؟!) المعنى الحرفي لهذا المحتوى القضوي لجملة السؤال؛ إذ السياق النصي والمقامي يعارضان هذا المسلك؛

فالمستفهم عنه، وهو الشاعر متعين بالفعل، ولذا امتنع حمل الاستفهام على حقيقته، وتعين إنجاز المتكلم بالاستفهام فعلا ضمنيا هو التعجب الذي سيطر على الحبيبة (نُعْم) لما رأته على حبيبها (عمر) من تغير وتبدل.

**الوقفة الثالثة:**

مع الجمل المنتهكة لقواعد (كرايس) تتموضع في منتصف الطريق عند الجملة السادسة من جمل الاستفهام الاثنتيْ عشرة جملة، حيث يقول الشاعر:( مَتى يَستَمكِنُ النَومُ مِنهُمُ؟)، وبمباحثة هاته الجملة يظهر ما يلي:

المحتوى القضوي للجملة يمثله المنطوق الصوتي أو الحرفي لها( مَتى يَستَمكِنُ النَومُ مِنهُمُ؟)، ذلك المحتوى المشتمل على الاستفهام عن وقت استمكان النوم من القوم.

أما المعنى الثاني فيتمثل في القوة الإنجازية الكامنة في المحتوى القضوي التداولي الملازمة للتلفظ به، ويتجلى هذا المعنى في قوة بنيوية تمثلها أداة الاستفهام (متى)، ويستدل بها على السؤال عن الزمان.

والمعنى الثالث من تلك المعاني إنما هو المعنى الاستلزامي التحاوري، وهو التمني المتوصل إليه والمدلول عليه بمعونة السياقين: سياق النص، وسياق المقام.

فأما سياق النص فيتجلى في تصريح الشاعر بركوب الأخطار، وتصويره الأهوال المتعاقبة التي قاساها في رحلته للمحبوبة، واقتحامه خباءها ليلا، وهي بَعْدُ المحمية بأهلها وعشيرتها، و حولها الفرسان من بني عمومتها، وخوف الحبيبة علي الشاعر وإشفاقها عليه من جرأته:(وَباتَت قَلوصي بِالعَراءِ وَرَحلُها، لِطارِقِ لَيلٍ أَو لِمَن جاءَ مُعوِرُ .. ! وَبِتُّ أُناجي النَفسَ: أَينَ خِباؤُها؟ وَكَيفَ لِما آتي مِنَ الأَمرِ مَصدَرُ .. ؟! فقدت الصوت منهم ... أُطفئت مصابيح ... غاب قمير ... روَّحَ رُعْيان ... نَوَّمَ سُمَّرُ خُفِّضَ عَنّي النَومُ، أَقبَلتُ مِشيَةَ الـ حُبابِ، وَشَخْصِي خَشيَةَ الحَيِّ أَزوَرُ ..! فاجأتها ... قالت

فضحتني ... ألم تخف – وُقِيتَ – حولي من عدوك حُضَّرُ؟)، هذا عن سياق النصي.

أما سياق المقام فمعروف بمراجعة القصيدة أن الشاعر يصف رحلته إلى المحبوبة، وأن القصيدة أغرودة غزلية حوم فيها الشاعر حول اعتزامه الرحلة لديار المحبوبة (نُعْم)، واحتفاذه لذلك، ونفاذه منه لتصوير مخاطر الرحلة، وأهوال الطريق؛ ليخلع من خلالها على نفسة حلل الشجاعة والفروسية، ويدعم ذلك بالحديث عن ناقته القوية التي اقتحمت معه غمار الرحلة، وقاومت مخاطر الطريق.

من خلال الاسترشاد بسياقي النص والمقام يتعين استبعاد حمل الاستفهام على ظاهره، وذلك في قول الشاعر: (متى يستمكن النوم منهم؟) فالشاعر محتفز حول ديار محبوبته، قلِقٌ ضَجِرٌ، يَرْبِضُ حول خيامها؛ ليقتنص فرصة نوم الرقيب، ومن ثم فليس معقولا أن يقف المحتوى القضوي عند القوة الإنجازية الحرفية على عتبة الدلالة المباشرة لمعنى الاستفهام، بل يتعين – والحالة هذه – أن ينحرف المستقبل ببوصلة الحوار للبحث عن تأويل تداولي للحوار؛ من أجل مجاوزة الدلالة الحرفية للاستفهام المتمثلة في طلب الفهم؛ وصولا إلى فضاءات سياقية أوسع، وذلك لخدمة المعنى التداولي الذي يريده الشاعر.

على أن المعنى الاستلزامي التداولي الذي يفيده السياق هنا التمني؛ لأن الشاعر يريد أن يصور للمستقبل ما تملّكه من الشوق للقاء المحبوبة، ذلك الشوق المتلظي المتوقف إطفاؤه على نوم الرقيب، ومن ثم فهو يتمنى غفلة الرقباء من أهل (نُعْم)؛ لأن السياق الذي وردت فيه صيغة الاستفهام ليس سياقا استفهاميا محضا، بل سياق تمنٍّ صدر من متكلم متلهف لرؤية حبيبته، ولا يحتاج إلى توضيح كون الشاعر انتقل من الفعل المباشر إلى الفعل غير المباشر من خلال قناة تداولية متمثلة في الخرق المتعمد لمبدأ (الملائمة) ومبدأ (الكم).

أما خرق مبدأ الملائمة فقد حدث عندما صدر من المتكلم الاستفهام عن أمر يتطلع لحصوله، ويتحرق لهفا لتأتيه؛ فالشاعر من حبيبته على مرمى حجر لا يمنعها منه إلا غياب الرقيب، ومن ثم فهو مبتغاه، وحصوله متمناه.

أما اختراق مبدأ (الكمّ) فيمثله زيادة المعنى الاستلزامي التخاطبي عن المعنى الذي يدل عليه المحتوى القضوي لجملة الاستفهام؛ حيث تخطى هذا المعنى القوة الإنجازية الحرفية الواقفة عند عتبة رفع الجهل عن المستفهم عنه؛ وصولا إلى عتبات فضاء التمني الرحيب، وبذلك يكون قد خرق مبدأ الكم.

**الوقفة الرابعة:**

مع اختراق قواعد الاستلزام الحواري عند كرايس في قصيدة عمر ابن أبي ربيعة تتمركز عند الجملة السابعة من جمل الاستفهام المتمثلة في قول الشاعر:( كَيفَ لِما آتي مِنَ الأَمرِ مَصدَرُ؟!). ولابد من ذكر السياق النصي القريب لهذا الاستفهام حتى يتسنى فهم المراد، وذلك السياق يتمثل في هذه الأبيات المتاخمة لجملة الشاهد التي يقول فيها الشاعر:

١٩ – وَلَيلَةَ ذي دَوْرَانَ جَشَّمتِنِي السُرى، وَقَد يَجشَمُ الهَولَ المُحِبُّ المُغَرّرُ !

٢٠ – فَبِتُّ رَقيبًا لِلرِفاقِ عَلى شَفًا، أُحاذِرُ مِنهُم مَن يَطوفُ، وَأَنظُرُ .. !

٢١ – إِلَيهِم، مَتى يَستَمكِنُ النَومُ مِنهُمُ؟ وَلي مَجلِسٌ لَولا اللُبانَةُ أَوعَرُ .. !

٢٢ – وَباتَت قَلوصي بِالعَراءِ وَرَحلُها، لِطارِقِ لَيلٍ أَو لِمَن جاءَ مُعوِرُ .. !

٢٣ – وَبِتُّ أُناجي النَفسَ: أَينَ خِباؤُها ؟ وَكَيفَ لِما آتي مِنَ الأَمرِ مَصدَرُ .. ؟!

وبمراجعة قول الشاعر (وَكَيفَ لِما آتي مِنَ الأَمرِ مَصدَرُ .. ؟!) يتبين أن السياق التداولي لهذه الجملة أنجز فعلين لغويين، أحدهما مباشر، وهو فعل الاستفهام المدلول عليه حرفيا بقرينة بنيوية هي (كيف) الاستفهامية، والثاني غير مباشر، وهو فعل لغوي ضمني يتمثل في التمني.

والسياق التخاطبي هنا هو الدالّ على عملية الاستلزام الحواري، ومعه سياق النص؛ فالجملة الاستفهامية في مقامها السياقي الذي وردت فيه لا تدل

على معناها القضوي، كما لا يقصد بها القوة الإنجازية الحرفية لفعل الاستفهام المتمثلة في البحث عن كيفية خروج الشاعر مما هو فيه؛ ولذا فقد انتقل المتكلم بالمحتوى القضوي للجملة من القوة الإنجازية الحرفية المباشرة إلى إنجاز فعل ضمني متولد من الاستفهام، وهو التمني، فالشاعر يتمنى نوم الرقباء، وغياب النُّظار، وسنوح الفرصة للوصول للحبيبة، والأنس بلقائها؛ لإطفاء لهيب الشوق المتضرم بين أحنائه المتشظية.

على أن هذه الدلالة الاستلزامية التداولية (التمني) حصلت لما كان المستفهم عنه معلوما لدى المستفهِم المتمثل في الشاعر، فالحل المباشر أن يرجع الشاعر عن قصده، ويعود أدراجه دون تحقيق مُناه؛ مما يمتنع معه حقيقة الاستفهام، ويتوجب عنده توجه المستقبِل نحو دلالة استلزامية ضمنية عمادها التمني المناسب للمقام.

وخرق مبدأ الكم من مبادئ (كرايس) وراءه سر الاستلزام الحواري هنا؛ لأن الشاعر لجأ إلى أسلوب الإيجاز؛ فلم يقل مثلا: أطلب معرفة الهيئة التي أتمكن من خلالها من الخروج من الموقف الذي أنا واقع فيه الآن والذي لا أحسد عليه حيث يتملكني القلق ويملأ الضجر مسالكي. وإنما قال: (وَكَيفَ لِما آتي مِنَ الأَمرِ مَصدَرُ .. ؟!).

كما أن خرق مبدأ الملائمة أسهم في حصول الاستلزام الحواري؛ فالسؤال عن الشيء في الأصل لا يتصور إلا ممن يجهل ذلك الشيء، و الشاعر يعرف أن الرجوع عن ديار الحبيبة، والعزوف عن تهوره واندفاعه يضمن له النجاة لو رضي من الغنيمة بالسلامة.

والعلاقة المستنبطة من هذا الاستلزام الحواري تتجلى في رغبة الشاعر في إبراز شجاعته المدلول عليها بركوبه متون الأخطار التي كان منها تربصه حول ديارها ريثما يغفل الرقيب.

**الوقفة الخامسة:**

موعدها مع الجملة الثامنة من مجموع الجمل الثنتيْ عشرة التي وقع فيها انتهاك حواري لقواعد (كرايس)، والجملة يقول فيها الشاعر: (أَلَم تَخَف؟ وُقيتَ، وَحَولي مِن عَدُوّكَ حُضَّرُ؟!) وسياق الجملة القريب يقص خوف الحبيبة (نُعُم) على حبيبها (عمر) ودهشتها من جرأته لما فاجأها واقتحم عليها خدرها في ساعة من الليل؛ حيث تقول القصيدة:

٢٥ – فَلَمّا فَقَدتُ الصَوتَ مِنهُم، وَأُطفِئَت مَصابيحُ، شُبَّت في العِشاءِ وَأَنْؤُرُ .. !
٢٦ – وَغابَ قُمَيرٌ كُنتُ أهوى غُيوبَهُ، وَرَوَّحَ رُعيانُ، وَنَوَّمَ سُمَّرُ ..!
٢٧ – وَخُفِّضَ عَنّي النَومُ، أَقبَلتُ مِشيَةَ ال حُبابِ، وَشَخْصِي خَشيَةَ الحَيِّ أَزوَرُ ..!
٢٨ – فَحَيَّيتُ إِذ فاجَأتُها، فَتَوَلَّهَت، وَكادَت بِمَخفوضِ التَحِيَّةِ تَجهَرُ .. !
٢٩ – وَقالَت وَعَضَّت بِالبَنانِ: فَضَحتَني، وَأَنتَ اِمرُؤٌ مَيسورُ أَمرِكَ أَعسَرُ !
٣٠ – أَرَيتَكَ إِذ هُنّا عَلَيكَ، أَلَم تَخَف؟ وُقيتَ، وَحَولي مِن عَدُوّكَ حُضَّرُ .. !

تقع جملة الشاهد في البيت الأخير من هذه الأبيات، وفيها خالف الشاعر إحدى قواعد (كرايس) المسماة بقاعدة (الكم) المتطلبة في الأصل أن يكون المعنى المبثوث في قالب اللفظ على قدر ما يقتضيه المحتوى القضوي، أو القوة الإنجازية الحرفية، وأن يستدل عليه مقاليا من المقال، لكن الشاعر هنا سلك سبيل الإيجاز فنقص لفظه عن معناه؛ فهو يود أن يقول على لسان الحبيبة مثلا: (إني أريد أن أعرف مكان الخوف من قلبك لما فاجأتني في هذه الساعة المتأخرة من الليل، وأنت – لا شك – على علم بما يمكن أن تصير إليه عاقبتك إن رآك أحد من فرسان بني عمي، أو رُعيان قومي)، لكن المتكلم خالف هذا؛ فقال: ألم تخف.

كما انتهك الشاعر كذلك قاعدة الملائمة المتطلبة التناغي بين الحال والمقال؛ فالحبيبة المتجهة بالسؤال لحبيبها تراه عيانا؛ فهو إذن لم يخف؛ إذ لو خاف لما أقدم عليها؛ فكيف تسأل عن خوفه؟! هو قطعا لم يخف؛ مما يحمل المستقبل حملا على ترك الفضاء القريب لدلالة الكلام.

خرج الشاعر إذنْ بكلامه عن دائرة الدلالة المباشرة للكلام، سابحا في فلك الدلالة غير المباشرة، ملقيا على كاهل المستقبِل مهمة فك تشفيره المتعمد لرسالته.

المعنى المباشر للاستفهام هنا يقع ضمن المركز الدائري لاستعلام الحبيبة عن خوف حبيبها (عمر) هل وقع أم لم يقع؟ ويُستدل على هذه القوة الإنجازية المباشرة بالدلالة الحرفية للاستفهام التي هي طلب حصول الفهم، والشاعر لا يقصد هذا المعنى المباشر، ولكن يستحصد من وراء هذا المحتوى القضوي لجملة الاستفهام معنى آخر كامنا وراء الدلالة الحرفية، "يسميه (كرايس) القوة الإنجازية المستلزَمة، وهي تلك القوة المدركة مقاميا، والتي تستلزمها الجملة في سياقات مقامية"[1] معينة، وذلك المعنى الآخر يتمثل خوف (نُعْم) على (عمر) المدلول عليه بمعونة كل من سياق النص، وسياق المقام.

**الوقفة السادسة:**

من وقفات الجمل المنتهِكة قواعد الحوار (الكرايسية) مع الجملة التاسعة من جمل الاستفهام الثنتيْ عشرة، ومنطوقها:( أَتَحقيقًا لِما قالَ كاشِحٌ عَلَينا، وَتَصديقًا لِما كانَ يُؤثَرُ ؟!) وقد جاءت الجملة على لسان المحبوبة (نُعْم) لحبيبها (عمر) لما سألته ماذا يفعل عندما أحست قرب الرقيب، والسياق المتاخم للجملة يقول:

**٤٤ – فَلَمّا رَأَت مَن قَد تَنَبَّهَ مِنهُمُ وَأَيقاظَهُم، قالَت: أَشِر كَيفَ تَأمُرُ ؟**
**٤٥ – فَقُلتُ: أُبادِيهِم، فَإِمّا أَفوتُهُم، وَإِمّا يَنالُ السَيفُ ثَأراً، فَيَثأَرُ .. !**
**٤٦ – فَقالَت: أَتَحقيقًا لِما قالَ كاشِحٌ عَلَينا، وَتَصديقًا لِما كانَ يُؤثَرُ ؟!**
**٤٧ – فَإِن كانَ ما لا بُدَّ مِنهُ، فَغَيرُهُ، مِنَ الأَمرِ، أَدنى لِلخَفاءِ وَأَستَرُ !**

(١) الاستلزام الحواري في التداول اللساني للعياشي أدراوي صـ ٩٧ .

المحتوى القضوي للجملة يتمثل في القوة الإنجازية الحرفية لها، غير أنه لوحظ اعتبارا للسياق الذي وردت فيه هاته الجملة " خروج الملفوظ عن معناه الحقيقي إلى عدة معانٍ استنتاجية ذهنية يجتهد المتلقي في التعرف عليها، معانٍ ذات طبيعة غير مستقرة توافق الحالة التي يصدر عنها"(١).

والبعد الاستلزامي لهذه الجملة لا يُعنَى بمعرفة معنى ما يقوله الشاعر أو المتحدث بشكل عام؛ إذ إن معناه قارّ في منطوقه، مدلول عليه به، وإنما الهدف في دراسة البعد الاستلزامي الكشف عما يريد أن يقوله المتحدث في سياق معين(٢)؛ فمن المركوز في الطباع " أن في الكثير من الأحيان يلاحظ أثناء عملية التخاطب أن معنى العديد من الجمل إذا روعي ارتباطها بمقامات إنجازها لا ينحصر فيما تدل عليه صيغها الصورية"(٣). وهذا عين ما حدث في هذا السياق؛ حيث انتقل المستقبل بملفوظ الجملة من قوة الملفوظ الإنجازية الحرفية، ومحتواها القضوي المدرك مقاليا، والمتمثل في أدواة الاستفهام (الهمزة) إلى بعد استلزامي يتمظهر في القوة الإنجازية المستلزَمة، وهي تلك القوة المدركة مقاميا بدلالة المراتب المقامية، والأسيقة المختلفة، والسياقان النصي والموقفي هنا يقضيان بحمل الاستفهام على الإنكار، والإنكار هنا يمثل في نظرية الاستلزام الحواري الفعل الإنجازي التأثيري الذي يسعى إليه الباث من خلال رسالته المبثوثة إلى المستقبل ذي الكفاءة التأويلة المؤهلة لفك شفرة الرسالة؛ فـ" الجمل في استعمالها لا تتحدد بظاهر دلالتها، إذ يمكن أن يتخذ

(١) لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب لـ (الحاج حمو ذهبية) صـ ١٢٣ ط/١منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة مولود معمري تيزي وزو الجزائر ٢٠٠٥م.
(٢) ينظر: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب لـ (الحاج حمو ذهبية) صـ ١٢٤.
(٣) الاستلزام الحواري في التداول اللساني للعياشي أدواري صـ ١٨.

الظاهر ذريعة لتأويل تشترك فيه عدد من المعطيات الداخلة في الخطاب، وكذا المؤطرة لإنتاجه"[١].

بقي التذكير هنا بأن السر وراء الاستلزام الحواري يكمن وراء خرق مبدأ الكم من مبادئ (كرايس) لأن الشاعر هنا على لسان فتاته لجأ إلى أسلوب الإيجاز؛ فلم تقل (نُعْم) لحبيبها (عمر) مثلا: (أطلب منك إخباري بمقصودك مما أنت قادم عليه، ومخبر باعتزامه من لقائك بني قومي كفاحا، أفتريد بفعلك هذا أن تحقق ما كان يقوله علينا الأعداء من علاقة؟ أم تريد بهذا أن يتحقق الناس مما كان يؤثر عني وعنك من لقاءات؛ فتثبت وشايات الواشين، وإدعاءات المغرضين).

وكذلك نجم الاستلزام الحواري هنا من خرق مبدأ الملائمة؛ فالسؤال عن الشيء في الأصل لا يتصور إلا ممن يجهل ذلك الشيء، و(نُعْم) هنا لا تشك قيد شعرة أن يكون هذا مقصود (عمر)؛ فكيف بها تسأل عنه على الحقيقة؟.

إن العلاقة المستنبطة من هذا الاستلزام الحواري تتمثل في رغبة الشاعر في إبراز دهشة الحبيبة (نُعْم) من جوابه إياها، وإنكارها عليه هذا الرأي ذي المغبّات العظام؛ لينفذ من ذلك إلى امتداح نفسه، وخلع حلل الشجاعة عليها، عبر بوابة معاناته في رحلته اليها، واقتحام المخاطر رغبة فيها، وركوب الموت فوزا باللقاء؛ حتى لقد أنكرت الحبيبة عليه ما رأي لما فيه من خطورة عليه؛ خشية أن يصيبه مكروه!.

**الوقفة السابعة:**

هذه الوقفة تجليها جملةٌ أمٌّ صادرةٌ عن صُدَقاءِ (نُعْم) وأخواتها اللائي ساعدن الشاعر في الانزياح بعيدا عن مرتكز الأخطار، حيث خيمة الحبيبة، وفرسان

(١) دلالة الاستلزام الحواري في الباب السابع عشر من "كليلة ودمنة" لابن المقفع. مقال من ست صفحات للدكتورة ليلى جغام صـ ٦ كلية الآداب واللغات بجامعة محمد خيضر بسكرة بالجزائر منشورات ندوة المخبر اللسانيات من دون تاريخ.

قومها، وهذه الجملة بعدها جملة أخرى على لسانهن تتفرع منها ثلاث جمل فرعية؛ وصدور الجمل على لسان صويحبات الحبيبة يجمل معه دمجهن في قرن من حيث التحليل التداولي لما اشتملت عليه الجمل كذلك من الخرق المتعمد لقواعد (كرايس)، والجمل تقول: (أَلَم تَتَّقِ الأَعداءَ وَاللَيلُ مُقمِرُ ؟! ... أَهَذا دَأبُكَ الدَهرَ ... أَما تَستَحي، أَو تَرعَوي، أَو تُفَكِّرُ ؟!).

والسياق القريب للجمل قول عمر:

٥٤ – فَقالَت لَها الصُغرى: سَأُعطيهِ مِطرَفي وَدَرعي وَهَذا البُردُ إِن كانَ يَحذَرُ !

٥٥ – يَقومُ فَيَمشي بَينَنا مُتَنَكِّراً فَلا سِرُّنا يَفشو وَلا هُوَ يَظهَرُ !

٥٦ – فَكانَ مَجَنّي دونَ مَن كُنتُ أَتَّقي، ثَلاثُ شُخوصٍ: كاعِبانِ وَمُعصِرُ !

٥٧ – فَلَمّا أَجَزنا ساحَةَ الحَيِّ قُلنَ لي: أَلَم تَتَّقِ الأَعداءَ وَاللَيلُ مُقمِرُ ؟!

٥٨ – وَقُلنَ: أَهَذا دَأبُكَ الدَهرَ سادِرًا أَما تَستَحي، أَو تَرعَوي، أَو تُفَكِّرُ ؟!

**وبمراجعة الجملة الأولى:** (أَلَم تَتَّقِ الأَعداءَ وَاللَيلُ مُقمِرُ ؟!) تقع العين على ثلاثة معانٍ تداولية يتضمنها القالب اللفظي لهذه الجملة، وهذه المعاني تتمثل في: المعنى الأول، وهو المحتوى القضوي، أو الاستفهام عن المسؤل عنه، والمعنى الثاني يكمن في القوة الإنجازية الملازمة للتلفظ بالمحتوى القضوي التداولي، ويمثلها الاستفهام المدلول عليه بقوة بنيوية تجسدها الهمزة، والمعنى الثالث هو المعنى الاستلزامي التخاطبي، وهو التعجب المدلول عليه بمعونة سياق الموقف، وسياق النص.

فأما سياق الموقف فيجليه كون الشاعر ينسج برود شجاعته في هذا المقطع من خلال تعميق معنى التعجيب الذي يتوسل إليه بما جاء على لسان الفتيات صويحبات الحبيبة (نُعْم) حين سألنه: أما تخاف عدوك، وهذا الليل مقمر؟ فلا يعقل أن يكون السؤال على حقيقته؛ إذ كيف يسألن عن خوفه أمرا قد أتاه بالفعل؟ لو خاف ما أقدم!.

وأما سياق النص القريب فقد صرح الشاعر باقتحامه خدر الحبيبة ليلا، وبمكثه ومعه فرسه في العراء، وفرسان قبيلة المحبوبة منه على مرمى

حجر، وأخبر عن وعورة الطريق إليها، وأنه أقحم في الصعاب حتى الثمالة؛ ليفوز باللذات عند حبيبة تخشى على محبوبها أن يصرعَ!.

ومن ثم فليس معقولا أن تقصد صويحبات (نُعْم) بلفظ الاستفهام الهمزة في قولها: (أَلَم تَتَّقِ الأَعداءَ وَاللَيلُ مُقمِرُ ؟!) المعنى الحرفي لهذا المحتوى القضوي لجملة السؤال؛ إذ السياق النصي والمقامي يعارضان هذا المسلك؛ فالمستفهم عنه، وهو عدم خوف الشاعر حاصل بالفعل بدلالة وجوده بينهن في عقر دار المحبوبة فكيف يسأل عن خوفه؟، ولذا امتنع حمل الاستفهام على حقيقته، وتعين إنجاز المتكلم بالاستفهام فعلا ضمنيا هو التعجب الذي سيطر على صويحبات الحبيبة (نُعْم) لما رأينه على الشاعر من فرط شجاعة، وجرأة قلب!.

**وبمراجعة الجمل من الثانية حتى الخامسة** : يلاحظ الآتي:

ترصد الدراسة معانيّ تداولية ثلاثة يتضمنها القالب اللفظي لكل واحدة من هذه الجمل، وهذه المعاني تتمثل في:

المعنى الأول يظهر في المحتوى القضوي للجمل يمثله المنطوق الصوتي أو الحرفي لها:(أَهَذا دَأبُكَ الدَهرَ؟ أَما تَستَحي، أَو تَرعَوي، أَو تُفَكِّرُ ؟!)، ذلك المحتوى المشتمل على الاستفهام عن دأب الشاعر، وحيائه، وارعوائه، وتفكره.

أما المعنى الثاني فيتمثل في القوة الإنجازية الكامنة في المحتوى القضوي التداولي الملازمة للتلفظ به، ويتجلى هذا المعنى في قوة بنيوية تمثلها أداة الاستفهام (الهمزة)، ويستدل بها هنا على السؤال عن شأن الشاعر، وحيائه، وارعوائه، وتفكره.

والمعنى الثالث من تلك المعاني إنما هو المعنى الاستلزامي التحاوري، وهو الإنكار المدلول عليه بمعونة السياقين: سياق النص، وسياق الموقف.

فأما سياق النص فيتجلى في تصوير الأهوال المتعاقبة التي قاساها في رحلته للمحبوبة، واقتحامه خباءها ليلا، وتصريحه بأنه نال من الحبيبة

بغيته، ونقع بوصلها غلته، وبل صداه؛ مما يستدعي النكير عليه، والبعد بالاستفهام عن أصل معناه، من ذلك قوله: (وَباتَت قَلوصي بِالعَراءِ وَرَحلُها، لِطارِقِ لَيلٍ أَو لِمَن جاءَ مُعوِرُ .. ! وَبِتُّ أُناجي النَفسَ: أَينَ خِباؤُها؟ وَكَيفَ لِما آتي مِنَ الأَمرِ مَصدَرُ .. ؟! فقدت الصوت منهم ... أُطفئت مصابيح ... غاب قمير ... روَّحَ رُعْيان ... نَوَّمَ سُمَّرُ خُفِّضَ عَنّي النَومُ، أَقبَلتُ مِشيَةَ الـ حُبابِ، وَشَخْصِي خَشيَةَ الحَيِّ أَزوَرُ ..! فاجأتها ... قالت فضحتني ... ألم تخف – وُقِيتَ – حولي من عدوك حُضَّرُ؟ ... أُقَبِّلُ فاها فَأُكثِر ... يَمُجُّ ذَكِيَّ المِسكِ مِنها مُفَلَّجٌ ... رَقيقُ الحَواشي، ذو غُروبٍ مُؤَشَّر ... فَلا سِرُّنا يَفشو ... الهَوى حَيثُ تَنظُر ... وَلاحَ لَها خَدٌّ نَقِيٌّ، وَمَحجَر ... هَنيئاً لِأَهلِ العامِرِيَّةِ نَشرُها اللَذيذُ، وَرَيّاها الَّذي أَتَذَكَّرُ). هذا عن السياق النصي.

أما سياق الموقف فتجليه مراجعة القصيدة؛ إذ يظهر أن القصيدة أنشودة غزلية غلفها لحن الصبابة، وبطنها وهج الأشواق، حوم فيها الشاعر حول رحلته القاسية لديار المحبوبة (نُعْم)، وأنه بعد عناء فاز بالوصل، ونعم باللقاء، ومن خلال وصف قساوة الرحلة راح الشاعر يخلع على نفسة حلل الشجاعة، ونياشين الفروسية، ولم ينس الحديث عن ناقته القوية التي اقتحمت معه غمار الرحلة، وقاومت مخاطر الطريق؛ ومن ثم فلا معنى لسؤال الصويحبات عن حيائه أو ارعوائه؛ إذ لو تفكر لما أقدم على ما أقدم عليه.

من خلال الاسترشاد بسياقي النص والموقف يتعين استبعاد حمل الاستفهام على ظاهره، وذلك في قول الشاعر: (أَهَذا دَأبُكَ الدَهرَ؟ أَما تَستَحي، أَو تَرعَوي، أَو تُفَكِّرُ ؟!)؛ فالشاعر تجشم الأهوال، واقتنص فرصة نوم الرقيب، واقتحم على الحبيبة خدرها، وقضّى لبانات الهوى غير هائب مغبات ما يأتيه حتى وإن قضى!.

ومن ثم فلا يُتصور وقوف المحتوى القضوي عند القوة الإنجازية الحرفية لمعنى الاستفهام، بل يتعين – والحالة هذه – أن ينزاح المستقبل منحرفا ببوصلة الحوار بحثا عن تأويل تداولي للحوار؛ لتخطي الدلالة الحرفية

للاستفهام المتمثلة في طلب الفهم؛ وصولا إلى فضاءات سياقية أوسع، وذلك لخدمة المعنى التداولي الذي يريده الشاعر.

على أن المعنى الاستلزامي التداولي الذي يفيده السياق هنا الإنكار؛ لأن الشاعر يريد أن يصور للمستقبل ما تملّك صويحبات الحبيبة من إنكار لما هو عليه من تمادٍ في اقتحام الأخطار، وركوب المهالك؛ بدلالة قوله على لسانهن: (أهذا دأبك الدهر سادرا؟)، والسادِرُ "الذي لا يُقلِعُ ولا ينزعُ عما هو فيه من غَيِّه وضَلالِه"(١)، أو هُوَ الَّذِي لَا يُبَالِي مَا صَنَعَ(٢).

ومن خلال إنكار الصويحبات يحقق مقصده؛ فيخلع على نفسه خِلَع البأس وأنواط الجسارة؛ ذلك أن السياق الذي وردت فيه صيغة الاستفهام ليس سياقا استفهاميا محضا، بل سياق نكير صدر من غيد كواعب هالهن ما رأين من جرأة الشاعر، وموت قلبه، وتماديه في غيه؛ فأنكرن عليه.

لم يبق هنا إلا الحديث عن قناة الانتقال التداولية من الفعل المباشر إلى الفعل غير المباشر، وهذه القناة متمثلة في الخرق المتعمد لمبدأ (الملائمة)، ومبدأ (الكم).

أما خرق مبدأ الملائمة فقد حدث عندما صدر من المتكلم الاستفهام، مع أن دليل الجواب معه؛ فالفتيات يسألن الشاعر: هل هو مستمر في غيه، وعدم تفكره، وانعدام حيائه، والجواب ظاهر؛ لأن ما هو فيه الآن أكبر دليل على استمراره؛ فكيف يكون السؤال على حقيقته الاستفهامية؟

أما اختراق مبدأ (الكمّ) فيمثله زيادة المعنى الاستلزامي التخاطبي عن المعنى الذي يدل عليه المحتوى القضوي لجملة الاستفهام؛ حيث تخطى هذا

(١) العين للخليل ٢٢٤/٧ بتحقيق د مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي طبعة دار الهلال من دون تاريخ.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٤٨/٣.

المعنى القوة الإنجازية الحرفية الواقفة عند عتبة رفع الجهل عن المستفهم عنه؛ وصولا إلى عتبات فضاء الإنكار، وبذلك يكون قد خرق مبدأ الكم.

وهكذا استثمر الشاعر عمر ابن أبي ربيعة واحدا من أشهر أساليب الإنشاء وهو أسلوب الاستفهام في اثنتي عشرة جملة؛ للتعبير عن قصده التواصلي، وحقق هدفه التداولي عن طريق الاتكاء على أسلوب الاستفهام بوصفه آلية من آليات التداولية اللسانية، مستعينا به، كتقنية من تقنيات الخطاب من خلال ملفوظه الحرفي، أو معناه القضوي التداولي الذي نجح إلى حد بعيد في تحميله بحمولات استلزامية تحاورية قصد إليها قصدا، وتوجه نحوها توجها، مستثيرا الكفاءة اللغوية للمستقبل أفضل استثارة، موظفا إياها أيما توظيف.

## المبحث الثاني:

### الاستلزام الحواري والاستعارة:

تتنوع آليات تحقق الاستلزام الحواري ووسائله في اللغة العربية، وتأتي الاستعارة بوصفها واحدة من أقوى الآليات الانزياحية التي يتحصل من خلالها الاستلزام الحواري، وبالرجوع إلى المدونة مناط الدراسة يتبدى غناؤها بجمهرة من الاستعارات الناصعة التي زخرف بها الشاعر قصيدته؛ فراحت تضيء سماء النص، وتبرق في فضائه المتراحب؛ فتأخذ الأبصار، فيروقها حسنه، وإن كان بها اسمدرار!.

هذا، وقد رصدت الدراسة ما اشتملت عليه المدونة محل المباحثة من استعارات؛ فبلغت هذه الاستعارات في مجموعها تسع استعارات رائعة منثوره على صفحات القصيدة في فضاء النص الشعري محط المباحثة، وقد وزعها الشاعر على تسعة أبيات في المدونة بواقع استعارة واحدة لكل بيت، فلم يشتمل بيت منها على أكثر من استعارة، وفيما يلي تقف الدراسة وقفات تداولية مَلِيَّة حذاء هاته الاستعارات الانزياحية المتباينة.

### الاستعارة الأولى:

تقع العين على أولى هذه الاستعارات عند البيت الثاني عشر من المدونة، وفيها يقول الشاعر:

**فَقالَت: نَعَم، لا شَكَّ غَيَّرَ لَونَهُ ... سُرى اللَيلِ، يُحِيي نَصَّهُ وَالتَهَجُّرُ!**

يأتي هذا البيت في سياق أبيات تحكي دهشة الحبيبة (نُعْم) لما رأت من تغير ملامح حبيبها الشاعر (عمر)، وتبدل أوصافه عن ذلك الوصف الذي تعرفه عنه؛ فسألت صاحبتها أسماء عنه، والسياق القريب يقول:

**١٠ – قِفي فَانظُري أَسماءُ هَل تَعرِفينَهُ ؟ أَهَذا المُغيريُّ الَّذي كانَ يُذكَرُ ؟!**
**١١ – أَهَذا الَّذي أَطرَيتِ نَعتًا، فَلَم أَكُن، وَعَيشِكِ، أَنساهُ إِلى يَومِ أُقبَرُ .. !**
**١٢ – فَقالَت: نَعَم، لا شَكَّ غَيَّرَ لَونَهُ .. سُرى اللَيلِ، يُحِيي نَصَّهُ وَالتَهَجُّرُ !**
**١٣ – لَئِن كانَ إِيّاهُ، لَقَد حالَ بَعدَنا عَنِ العَهدِ، وَالإِنسانُ قَد يَتَغَيَّرُ !**

إن القرينة اللغوية في قوله :( يُحيِي نَصَّهُ) تبتعد بالسامع عن قبول المعنى الحرفي المعجمي لكلمة (يُحيي) ما دام الحوار قائما على أساس التعاون بين أطراف العملية التخاطبية، فلا يجد المستقبِل بدا من البحث عما وراء الكلام من معنى مقصود، ودلالة منشودة.

إن المعنى المعجمي الحرفي لفعل الإحياء يأبى على المتلقي أن يحمله هنا على ظاهره؛ فالإحياء ضد الإماتة، وهما – لا جرم – من صفات الله – عز وجل – أولا، ولا يقعان إلا على كل ذي روح ثانيا، وليس الليل من ذوات الأرواح، ولا في مقدور الشاعر فعل الإحياء؛ فضلا عن غيره مما سوى الله – تعالى – ؛ ومن ثم فلا يتصور أن يقصد الشاعر على لسان المتحدث أبدا المعنى الحرفي للإحياء هنا في قوله (يحيي نصه).

وهذه الدلالة المعجمية للفعل (يحيي) تعد قرينة لغوية اجتماعية على صرف الكلام عن ظاهره، وهي في الوقت ذاته تؤشر انتهاكا صريحا من الشاعر لمبدأ مهم من مبادئ الطريقة أو الكيفية القائمة بالأساس على التزام الوضوح في الكلام، وتجنب الغموض، والبعد عن الالتباس القصدي.

وبما أن المفترض في الحوار أن يكون قائما على التعاون فلا يتوقع من المتكلم أن يقوم بالخداع والتضليل، بل المتوقع منه أن يلقي على المستقبِل خبرا ما؛ بدليل أنه ذكر جملة خبرية (يحيي نصه)، والمفروض في هذا المتكلم أنه ملتزم بمبدأ التعاون، وفي الوقت ذاته ليس سهلا تعيين قصدية المتحدث بهذه الجملة (يحيي نصه)؛ ومن هنا فليس على مستقبِل من بأس أن يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة خطوة للوصول إلى ما يستلزمه الكلام[1].

(١) ينظر: أفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر صـ ٤١.

ليس بدعا بعد هذا أن يقال إن السبب في لجوء المتحدث إلى الأسلوب الاستعاري (يحيي نصه) [1] ليس سوى الوثوق في كفاءة المستقبل اللغوية، وقدرته التأويلية، وأن هذا المتلقي مأمول فيه أن يكون قادرا على فهم المعنى غير الحرفي لجملة (يحيي نصه)؛ فالمتكلم يريد أن يخلع على نفسه من خلال هذه الجملة خِلْعة البأس، ونيشان التميز.

ولا يخفى ما في الأسلوب الاستعاري هنا من انتهاك لمبدأ الطريقة التي أو (الهيئة) الذي يلتزم الوضوح في الكلام، كما أن فيه اختراقا لمبدأ النوع والكيف، ذلك المبدأ القائم على التزام الصدق، وإلا فمن ذا الذي يقول إن الشاعر عمر ابن أبي ربيعة بإمكانه فعل الإحياء على حقيقته، وأن الليل من ذوات الأرواح؟!.

إن المعنى الاستلزامي الصادر من هذا الخرق المتعمد لهاتيك المبادئ الحوارية يتمثل في إحياء الشاعر ليله بالسهر، وركوب الأخطار، ومواجهة برد الشتاء القارس، وظلام ليله الدامس، ومجافاة النوم لهذا الشاعر الفارس الشجاع الذي لا يعرف النوم لجفونه طريقا، ولا الخوف لقلبه مسلكا. فإحياء الليل هنا مستعار للسهر، ومجافاة النوم، وقطعه الرحلة، متدثرا ثياب الوحشة تحت أمواج الظلام.

إن الفعل التأثيري الإيجابي من قبل فتاة الشاعر وحبيبته (نُعْم) والذي ظهر من خلال إطلاقها حزمة من الاستفهامات التعجبية نحو صاحبتها أسماء: (قِفي فَانظُري أَسماءُ هَل تَعرِفينَهُ ؟ ... أَهَذا المُغيريُّ الَّذي كانَ يُذكَرُ ؟! ... أَهَذا الَّذي أَطرَيتِ نَعتًا؛ فَقالَت: نَعَم، لا شَكَّ غَيَّرَ لَونَهُ سُرى اللَيلِ، يُحيِي نَصَّهُ وَالتَهَجُّر) = هذا الفعل عمّق كثيرا في نفس المستقبِل المجرى الاستلزامي للمعنى القائم على إحياء الشاعر ليله على متن راحلته، نضوَ

(١) الجملة من قبيل الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل (يحيي)؛ وهذا على تقدير الاستعارة في الفعل باعتبار مدلول صيغته، لا باعتبار إسناده إلى الشاعر.

مخاطر، وحليف أسفار، وضاعف قدرة المحتوى القضوي التداولي لجملة الاستعارة (يحيي نصه) على تصوير مقصد المتكلم، وتجلية مراده، ومن ثم فقد أسهم بالطبع في الكشف عن قصدية الباثِّ المتمثلة في امتداح الشاعر نفسه بالشجاعة عن طريق إبراز ما كابد في رحلته من أهوال؛ حتى لقد أثر ذلك على ملامحه؛ فاستلزم إنكار الحبيبة شكله وملامحه!.

وهكذا تتجلى الدلالة الاستلزامية في صورة أغلفة وطبقات مختلفة للمعاني فيبدو قطعُ الشاعر ليله بالسفر في صورة الإحياء لهذا الليل، ذلك الليل الذي يظهر سكونه هو الآخر في صورة الموت المنهزم أما شجاعة الشاعر التي لا تقهر، وأسفاره التي لا تنقطع، وعزيمته التي لا تلين.

لقد صور الشاعر نفسه من خلال قوة الاستعارة في صورة البطل العنيد، والفارس المغوار الذي لا يزِلُّ عن صهوة جواده، ولا ينفك عن مطاردة الأخطار، في جلد شديد، وهمة لا تعرف الكلال.

**الاستعارة الثانية:**

هذه الاستعارة ترصدها الدراسة قريبا جدا من الشاهد السابق لا يفصل بينهما سوى بيت واحد؛ فعلى عتبة البيت الرابع عشر من القصيدة ترابض قوة استعارية جديدة زمّلها محتوىً قضوي طريف صدر منطوقه على لسان الشاعر هذه المرة، وليس على لسان الحبيبة (نُعْم) أو صاحبتها (أسماء)، فالشاعر يقول عن نفسه: (أخا سفر) في سياق متاخم ملفوظه:

**١٤- رَأَت رَجُلاً، أَمّا إذا الشَمسُ عارَضَت فَيَضحى، وَأَمّا بِالعَشِيِّ فَيَخصَرُ .. !**

**١٥ – أَخا سَفَرٍ، جَوّابَ أَرضٍ، تَقاذَفَت بِهِ فَلَواتٌ، فَهوَ أَشعَثُ أَغبَرُ .. !**

عاد الشاعر هنا ليمسك بمقود الحديث من جديد بعدما سمح للحبيبة وصويحباتها به بعض الوقت كما في الاستعارة السابقة، وبعد استرداده عجلة القيادة قال عن نفسه إنه (أخو سفر)، والمعنى المعجمي الحرفي للأخوة يأبى على المتلقي أن يحمله هنا على ظاهره؛ "فالأخوان مرتبطان بخروج كل منهما

من نفس الصلب أو البطن التي خرج منها الآخر أو منهما معًا"[١]؛ ومن ثم فلا يتصور أن يقصد الشاعر على لسان المتحدث أبدا المعنى الحرفي للأخوّة هنا في قوله (أخا سفر).

وهذه الدلالة المعجمية للأخوة – لاجرم – قرينة لغوية اجتماعية تصرف الكلام عن ظاهره، وتؤطر في ذات الوقت لخرق صريح لواحد من مبادي الحوار المتمثل في مبدأ الطريقة ذلك الموجِب على الباثِّ التزامَ الوضوح في الكلام، وتجنب الغموض، والبعد عن الالتباس القصدي. ومعلوم في الحوار أن يكون قائما على التعاون فلا يقوم المتكلم بالخداع والتضليل، وهو هنا يلقي على المستقبِل خبرا ما؛ بدليل أنه ذكر جملة خبرية (رأتْ أخا سفر)، وعلى رغم مبدأ التعاون الملتزَم فرضا بين أطراف العملية التخاطبية إلا أنه ليس سهلا تعيين قصدية المتحدث بهذه الجملة (رأت أخا سفر)؛ مما يستفز الكفاءة اللغوية للمستقبِل؛ فيدفعه لخطوات محسوبة خطوة بعد خطوة وصولا إلى ما يستلزمه الحوار[٢].

بات جليا أن مبعث المتحدث إلى الأسلوب الاستعاري (رأت أخا سفر)[٣] وثوقه في كفاءة المستقبل اللغوية، وقدرته التأويلية، وتأميله فيه أن يكون قادرا على فهم المعنى غير الحرفي لجملة (رأت أخا سفر)؛ فالمتكلم يريد أن يكسو نفسه من خلال الجملة الأم هنا حلة المجد، وأثواب الحماسة.

وكما اخترق الشاعر بأسلوبه الاستعاري هنا مبدأ الطريقة أو (الهيئة) الذي يلتزم الوضوح في الكلام، اخترق أيضا مبدأ النوع والكيف، ذلك المبدأ

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم للدكتور محمد حسن جبل صـ ٥١٧/١ ط/١ مكتبة الآداب بالقاهرة ٢٠١٠م.

(٢) ينظر: أفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر صـ ٤١.

(٣) الجملة من قبيل الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل (يحيي)؛ وهذا على تقدير الاستعارة في الفعل باعتبار مدلول صيغته، لا باعتبار إسناده إلى الشاعر.

القائم على التزام الصدق، وإلا فمن ذا الذي يتصور على الحقيقة إخوة نسب معقودة بين السفر وذلك الفتى عمر؟!.

لقد صدر عن هذا الخرق المتعمد لمبدأ الطريقة والكيف استلزام حواري يتمثل في التلازم بين الشاعر والأسفار، وتأبيه على الأخطار، فإخوة السفر هنا مستعارة لقطع الفيافي فوق متن الرواحلِ، وقطعا ضاعف ذلك قدرة المحتوى القضوي التداولي لجملة الاستعارة (رأت أخا سفر) في الكشف عن قصدية الباثِّ المتمثلة في امتداح الشاعر نفسه بالشجاعة، وملازمة الأسفار، وعدم اكتراثه بالمهالك.

**الاستعارة الثالثة:**

تضيء هذه القوة الاستعارية فضاء البيت الحادي والعشرين من أبيات المدونة محل التحليل، وفيها ينتظر الشاعر استمكان النوم من أعين القوم حتى يهتبل فرصة التسلل لخدر المحبوبة فور سنوحها، والسياق القريب من الاستعارة يتمثل في قول الشاعر:

**١٩ – وَلَيلَـةَ ذي دَوْرَانَ جَشَّـمتِنِي السُـرى، وَقَـد يَجشَـمُ الهَـولَ المُحِـبُّ المُغَـرِّرُ !**

**٢٠ – فَبِـتُّ رَقِيبًـا لِلرِفـاقِ عَلـى شَـفًا، أُحـاذِرُ مِـنهُم مَـن يَطـوفُ، وَأَنظُـرُ .. !**

**٢١ – إِلَـيهِم، مَـتى يَسـتَمكِنُ النَـومُ مِـنهُمُ؟ وَلي مَجلِـسٌ لَـولا اللُبانَـةُ أَوعَـرُ .. !**

لا يخفى هنا كون القرينة اللغوية في قوله: (يَستَمكِنُ النَومُ مِنهُمُ) توجه السامع بعيدا عن قبول المعنى الحرفي المعجمي لكلمة (يستمكن)، وانطلاقا من مبدأ التعاون القائم عليه الحوار لا يجد المستقبِل بدا من البحث عما وراء الكلام من معانٍ استلزامية.

وتفعيلا لمبدأ الكفاءة اللغوية يتعذر على المتلقي هنا حمل فعل الاستمكان على ظاهره؛ إذ المعنى المعجمي الحرفي لهذا الفعل يمثله الظفر بالشيء، والتمكن منه، والقدرة عليه قدرة ناجمة عن سطان وقوة.[1]؛ ومن ثم

(١) ينظر: معجم متن اللغة لأحمد رضا ٣٣٣/٥ ط/١ مكتبة الحياة بيروت ١٣٨٠هـ.

فلا يتصور أن يقصد الشاعر على لسان المتحدث أبدا المعنى الحرفي هنا في قوله:(يَستَمكِنُ النَومُ مِنهُمُ)؛ فلا النوم على الحقيقة ذا سلطان، ولا قوم (نُعْم) من رعاياه!.

وهذه الدلالة المعجمية للفعل (يستمكن) بمثابة القرينة اللغوية الاجتماعية على صرف الكلام عن ظاهره، وهي في الوقت ذاته تمثل انتهاكا صريحا من الشاعر لمبدأ مهم من مبادئ الطريقة أو الكيفية القائمة بالأساس على التزام الوضوح في الكلام، وتجنب الغموض، والبعد عن الالتباس القصدي. كما أن فيه اختراقا لمبدأ النوع والكيف، ذلك المبدأ القائم على التزام الصدق.

يعود مبدأ التعاون من جديد هنا؛ ليحمل على حسن الظن بالمتكلم الذي لا يتوقع منه الخداع والتضليل، بل يفترض فيه أن يلقي على المستقبِل خبرا ما؛ بدليل أنه ذكر جملة خبرية (يَستَمكِنُ النَومُ مِنهُمُ)، وليس ميسورا في ذات الوقت معرفة ما يقصده المتحدث على جهة التعيين والتحديد؛ مما يسوغ للمستقبل، بل يحتم عليه التنقير عن استلزام حواري تداولي يخدم الغرض، ويبل رحم المقام ببلالها.

إن سر لجوء المتحدث إلى الأسلوب الاستعاري (يَستَمكِنُ النَومُ مِنهُمُ)[1] ليس سوى وثوقه الكامل في كفاءة المستقبل اللغوية، وقدرته التأويلية، وأن هذا المتلقي مأمول فيه أن يكون قادرا على فهم المعنى غير الحرفي لجملة (يَستَمكِنُ النَومُ مِنهُمُ)؛ فالمتكلم يريد هنا أن يصور تمكن النوم من قوم (نُعْم) تمكن ذي السلطان من ذي جناية ذليل متى ما يرفع الرأس طأطأ؛ ومن ثم فإن المعنى الاستلزامي الصادر من هذا الخرق المتعمد لهاتيك المبادئ الحوارية يتمثل في تصوير الفتى عمر متربصا بالقرب من ديار الحبيبة،

(١) الجملة من قبيل الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل (يحيي)؛ وهذا على تقدير الاستعارة في الفعل باعتبار مدلول صيغته، لا باعتبار إسناده إلى الشاعر.

متنمرا لاهتبال فرصة نوم الرقباء، وخضوعهم لسلطان النوم، ووقوعهم في قبضة ذلك الحاكم المتمكن من العيون والجفون!.

ولقد وظف الشاعر حزمة من الأفعال التأثيرية الإيجابية لتعميق المجرى الاستلزامي للمعنى في نفس المستقبل، ذلك المعنى القائم على تصوير الشاعر نفسه رقيبا حول أخبية القوم متجشما في سبيل الحب ما لا يقدر عليه إلا من قدر، ومن هاته الأفعال قوله:( جَشَّمتِني السُرى – يَجشَمُ الهَولَ المُحِبُّ – فبتُّ رقيبا – أحاذر منهم – على شفا)، وقد ضاعفت هذه الجمهرة من الأفعال قدرة المحتوى القضوي التداولي لجملة الاستعارة (يستمكن النوم منهم) على تصوير مقصد المتكلم، وتجلية مراده، ومن ثم فقد أسهم بالطبع في الكشف عن قصدية الباثّ المتقوقعة في مدح الشاعر نفسه بالشجاعة بإظهار ما قاسى وما راح يجشم في رحلته من أهوال؛ حتى لقد عرض نفسه للموت في سبيل الفوز باللقاء!.

يلحظ هنا بصحبة القوة الاستعارية وجود أغلفة وطبقات مختلفة للمعاني تتجلى من خلالها الدلالة الاستلزامية التداولية للمشهد في صورة تمكن النوم من القوم في صورة قهر السلطان الغشوم ذي الجبروت لرعاياه المستسلمين لحكمه الخانعين لسطانه.

**الاستعارة الرابعة:**

تأتي هذه البنية الاستعارية في البيت الثاني والثلاثين من الفضاء النصي لمدونة الدراسة، في سياق أبيات تحكي اقتحام الشاعر خدر حبيبته(نُعْم)، وتصور دهشة الحبيبة لما فاجأها ذلك الفتى الجرئ، وسؤالها عن بواعث هذه المغامرة، وجوابه إياها. يقول الشاعر:

**٣١ – فَوَ اللهِ ما أَدري، أَتَعجيلُ حاجَةٍ سَرَت بِكَ، أَم قَد نامَ مَن كُنتَ تَحذَرُ .. !**

**٣٢ – فَقُلتُ لَها: بَل قادَني الشَوقُ وَالهَوى إِلَيكِ، وَما عَينٌ مِنَ الناسِ تَنظُرُ .. !**

تأبى القرينة اللغوية في قوله: (قادني الشوق والهوى) على المتلقي قبول المعنى الحرفي المعجمي، والتسليم بمجرد المحتوى القضوي لهذا التركيب؛ إذ

لا يعقل من الشوق قيادة، ولا يتأتى من الهوي على الحقيقة توجيه، ونزولا على قانون الكفاءة اللغوية يجتهد المتلقي في البحث عما وراء الكلام من معنىً مؤمٍّ، ومقصد منشود؛ ولا بدع في ذلك؛ فالحوار بالأساس قائم على التعاون بين الطرفين في السجال التحاوري: المتكلم، والمخاطب.

إن القوة الإنجازية الحرفية للفعل قاد تشتمل على قيادة البعير ونحوه من الدوابّ، وهو أن يأخذ بزمام المقُود، ويجره خلفه، والقوْدُ نقيضُ السوْقِ، والسوْقُ من الخلف(١)، وهذا المعنى المعجمي الحرفي لفعل القود يأبى على المتلقي أن يحمله هنا على ظاهره؛ فلا الشاعر جملا، ولا الشوق بإنسان؛ حتى يأخذ بزمامه، ومن ثم استُبعِد المعنى الحرفي للفعل (قاد) هنا في قوله (قاده الشوق والهوى).

وقد لاحت هذه الدلالة المعجمية للفعل (قاد) كقرينة لغوية اجتماعية على صرف الكلام عن ظاهره، وذلك في الوقت الذي تنبئ فيه بانتهاك واضح من الشاعر لواحد من مبادئ الاستلزام الحواري وهو مبدأ الطريقة أو الكيفية القائم بالأساس على تبني الوضوح في الكلام، وتجنب الالتباس القصدي، والبعد عن الغموض.

وبما أن المفترض في الحوار – طبقا لـ (كرايس) أن يكون قائما على التعاون؛ فلا يتوقع من المتكلم، ولا يقبل منه أن يقوم بالخداع والتضليل، بل المتوقع منه أن يلقي على المستقبِل خبرا ما؛ والدليل هنا أنه ذكر جملة خبرية (قاده الشوق والهوى)، والمأمول في هذا المتكلم – ودائما وفقا لـ (كرايس) – أنه ملتزم بمبدأ التعاون، وتعيين قصدية المتحدث بجملة (قاده الشوق والهوى)

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٥٣٥/٦ بتحقيق عبدالحميد هنداوي ط/١ دار الكتب بيروت ٢٠٠٠م. وكتاب الأفعال لابن القطاع ٥٥/٣ . ط/١ عالم الكتب ١٩٨٣م. والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١١٩/٤ بتحقيق طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي. ط/١ المكتبة العلمية بيروت ١٩٧٩م.

ليس بالأمر السهل (كِرَايْسِيًّا)؛ ومن هنا فما ضلّ الطريقَ مستقبِلٌ توجه بدافع الاستلزام الحواري نحو تأويلات مناسبة لما يقتضيه الغرض، ويتطلبه المقام.

إن إعمال مبدأ الكفاءة اللغوية المتوقعة بين أطراف العملية التخاطبية كان سببا في لجوء المتحدث إلى الأسلوب الاستعاري (قاده الشوق والهوى) وذلك لوثوقه في كفاءة المستقبل، وقدرته التأويلية، وأن مستقبل واعٍ تُرجى قدرته على فهم المعنى غير الحرفي لجملة (قاده الشوق والهوى)؛ فالمتكلم يريد أن يُقَمِّص قلبه بقميص الهوي، ويُزيّيه بأزياءِ الصبابة، فهو قلب جره الشوق إلى حيث ما شاء الهوى نحو الحبيب.

ولا يخفى ما في الأسلوب الاستعاري هنا من انتهاك لمبدأ الطريقة التي أو (الهيئة) الذي يلتزم الوضوح في الكلام، كما أن فيه اختراقا لمبدأ النوع والكيف، ذلك المبدأ القائم على التزام الصدق، وإلا فمن ذا الذي يقول إن الشاعر عمر ابن أبي ربيعة بعير يمسك بزمامه الشوق؟!.

إن المعنى الاستلزامي التداولي الصادر من هذا الخرق المتعمد لهاتيك المبادئ الحوارية يتمثل في خنوع الفتى عمر لسلطان الشوق، ونزوله على مقتضيات العشق، فهو المفتون بالحِبّ هنا، وهو الغارق في نار الهوى، تحت أمواج الشظايا يستغيث!.

وهكذا تتراءى أطياف المعاني في أغلفة مختلفة، وتتعدد طبقاتها في صور متباينة؛ لتتجلى الدلالة الاستلزامية التداولية من خلال قوة الاستعارة في أشكالها المتعددة؛ فيبدو خنوع الشاعر لداعي الهوى في صورة الراحلة المنقادة لآخذ بزمامها، يصرفها كيف يرى، ويبعثها كيف يشاء!.

**الاستعارة الخامسة:**

تمثل هذه الاستعارة نقطة المرتكز الدائري في مجموع الاستعارات العشرة المنثورة على أديم سماء النص، فهي خامسة العشرة، وقد نسجها الشاعر في البيت الثالث والثلاثين، ضمن سياق جزئي يصور هدوء الحبيبة وسكينتها بعدما روعها باقتحام خدرها؛ فخافت على نفسها الفضيحة وعلى حبيبها من

فرسان قومها المرابضين حول خبائها ؛ فطمأنها، بأن عينا لم تره؛ فسكن فؤادها. يقول الشاعر:

**٣١ – فَـوَ اللهِ مـا أَدري، أَتَعجيـلُ حاجَـةٍ سَرَت بِكَ، أَم قَد نامَ مَن كُنتَ تَحذَرُ .. !**

**٣٢ – فَقُلتُ لَها: بَل قادَني الشَوقُ وَالهَوى إِلَيـكِ، وَمـا عَـينٌ مِـنَ النـاسِ تَنظُـرُ .. !**

**٣٣ – فَقالَت وَقَد لانَت وَأَفرَخَ رَوعُها: كَـــلاكَ بِحِفـــظٍ رَبُّـــكَ المُتَكَـــبِّرُ .. !**

توجه القرينة اللغوية في قوله: (وَأَفرَخَ رَوعُها) المستقبِل أن ينزل على قانون الكفاءة اللغوية؛ فيجتهد في البحث عما وراء الكلام من معنىً مؤمٍّ، ومقصد منشود؛ ولا بدع في ذلك؛ فقبول المعنى الحرفي المعجمي، والتسليم بمجرد المحتوى القضوي لهذا التركيب لا يناصره العقل، ولا يحقه الواقع؛ إذ لا يعقل أن يفرخ فؤاد المحبوبة على وجه الحقيقة، كيف وأصل الإفراخ يكون للطيور وذوات البيض من قولهم: أفرخ الطائر، أي صار ذا فرخ، أَفرخت الْبَيْضَةُ إِذا خَرَجَ الْوَلَدُ مِنْهَا[1]، ومن أقوى بواعث المستقبل للتنقير عن المعنى الاستلزامي الحواري كون الحوار بالأساس قائما على التعاون بين الطرفين في السجال التحاوري: المتكلم، والمخاطب.

إن القوة الإنجازية الحرفية للفعل أفرخ تختص بالطير وذوات البيض، وهذا المعنى المعجمي الحرفي لفعل الإفراخ يأبى على المتلقي أن يحمله هنا على ظاهره؛ فلا قلب الحبيبة طائرا، ولا خوفها بيضا؛ حتى يفرخ، ومن ثم استُبعِد المعنى الحرفي للفعل (أفرخ) هنا في قوله (أفرخ روعها).

إن هذه الدلالة المعجمية للفعل (أفرخ) تبرق فتضئ فضاء الجملة الاستعارية، كقرينة لغوية اجتماعية على صرف الكلام عن ظاهره، وتؤطر في الوقت ذاته لانتهاك متعمد لواحد من مبادئ الاستلزام الحواري، وهو مبدأ الطريقة أو الكيفية القائم بالأساس على التزام الوضوح في الكلام، وتجنب الالتباس والغموض.

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور ١٣٥/٨.

وبما أن أمل (كرايس) الأعظم في الحوار – طبقا لقاعدة الاستلزام الحواري أن يكون قائما على التعاون؛ فلا يرجى من المتكلم إلا الوضوح، ولا يقبل منه أن يقوم بالخداع والتضليل، بل المتوقع منه أن يلقي على المستقبِل خبرا ما؛ والدليل هنا أنه ذكر جملة خبرية (أفرخ روعها)، والمأمول في هذا المتكلم – ودائما وفقا لـ (كرايس) – أنه ملتزم بمبدأ التعاون.

ولما لم يكن تحديد قصدية الباثّ هنا بالأمر السهل تحتم على المستقبل التوجه بدافع الاستلزام الحواري نحو تأويلات مناسبة لما يقتضيه الغرض، ويتطلبه المقام.

لقد جاء تفعيل مبدأ الكفاءة اللغوية المتوقعة بين أطراف العملية التخاطبية كأقوى سبب في لجوء المتحدث إلى الأسلوب الاستعاري (أفرخ روعها)، وذلك انطلاقا من وثوقه في كفاءة المستقبل، وقدرته التأويلية، وأنه مستقبِل فطن لا يُشكُّ في قدرته على فهم المعنى غير الحرفي لجملة (أفرخ روعها)؛ فالمتكلم يريد أن يصور الحبيبة (نُعْم)، وقد هدأ قلبها، وانتظم وجيفه في صورة الطائر الذي أفرخ بيضه أو البيضة التي أفرخت فخرج منها فرخها.

ولا ينقصه الوضوح ذلك النتهاك الظاهر بفعل الأسلوب الاستعاري هنا لمبدأ الطريقة أو (الهيئة) الذي يلتزم الوضوح في الكلام، كما أن ثمّ اختراقا لمبدأ النوع والكيف، ذلك المبدأ القائم على التزام الصدق، وإلا فمن ذا الذي يقول إن الحبيبة (نُعْم) أصبح قلبها طائرا، وأصبح خوفها بيضا؟!.

إن المعنى الاستلزامي التداولي الصادر من هذا الخرق المتعمد لهاتيك المبادئ الحوارية يتمثل في هدوء الحبيبة وذهاب الخوف عن قلبها بعدما طمأنها حبيبها (عمر) بتمكن سلطان النوم من القوم.

وهكذا تتجلى الدلالة الاستلزامية التداولية من خلال قوة الاستعارة في أشكالها المتعددة؛ فيبدو تفريغ الحبيبة قلبها من الذعر والخوف في صورة تفريغ الطائر جوفه من البيض أو تفريغ البيضة من فرخها.

**الاستعارتان السادسة والسابعة:**

تنتظم هاتان القوتان الاستعاريتان المحتوى القضوي اللامع في سماء البيتين: السابع والثلاثين، والثامن والثلاثين من أبيات المدونة محط الدراسة حيث جملة:(لَم يُكَدِّرهُ عَلَينا مُكَدِّرُ)، وجملة:( يَمُجُّ ذَكِيَّ المِسكِ مِنها مُفَلَّجٌ)

وفيهما يصف الشاعر لقاءه الحبيبة بأنه رائق رائع جميل لم يعكره قذى، ولا حلّق في سمائه شوبُ كدر، ويتحدث عن رضاب الحبيبة ذلك المسك المختوم.

والسياق القريب من الاستعارتين يتمثل في قول الشاعر:

**٣٥ – فَبِتُّ قَريرَ العَينِ، أُعطيتُ حاجَتي، أُقَبِّلُ فاها في الخَلاءِ فَأُكثِرُ .. !**

**٣٦ – فَيا لَكَ مِن لَيلٍ تَقاصَرَ طولُهُ، وَما كانَ لَيلى قَبلَ ذَلِكَ يَقصُرُ .. !**

**٣٧ – وَيا لَكَ مِن مَلهىً هُناكَ وَمَجلِس لَنا، لَم يُكَدِّرهُ عَلَينا مُكَدِّرُ .. !**

**٣٨ – يَمُجُّ ذَكِيَّ المِسكِ مِنها مُفَلَّجٌ، رَقيقُ الحَواشي، ذو غُروبٍ مُؤَشَّرُ .. !**

مجددا تعود القرينة اللغوية في قوله:( لَم يُكَدِّرهُ عَلَينا مُكَدِّرُ – يَمُجُّ ذَكِيَّ المِسكِ) لتحرف بوصلة المتلقي بعيدا عن قبول المعنى الحرفي المعجمي للمتتاليتين (يكدره – ذكي المسك)، وانطلاقا من مبدأ التعاون القائم عليه الحوار لا يجد المستقبِل بدا من البحث عما وراء الكلام من معانٍ استلزامية.

ويبرق هنا من جديد مبدأ الكفاءة اللغوية الذي يتعذر معه على المتلقي هنا حمل كل من (الكدر – ذكي المسك) على ظاهره؛ إذ المعنى المعجمي الحرفي يقول عن الأول: إن "الكَدَر: ضد الصّفو، كَدِرَ الماءُ يكدَر كَدَراً وكُدوراً وكُدْرَة، وَالْمَاءُ أَكْدَر وكَدِر"[(١)]؛ وعن الثاني: إن المسك هو الطيب، "وَأَصْلُهُ: دَمٌ يَجْتَمِعُ فِى بُجْرَةٍ، أَىْ: كِيسٍ فِى سُرَّةِ الظَّبْيَةِ، ثُمَّ يَتَقَوَّرُ وَيَسْقُطُ" [(٢)]، و"مِسْكٌ

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ٦٣٧/٢ بتحقيق رمزي منير بعلبكي. ط/١ دار العلم للملاين بيروت ١٩٨٧م.

(٢) النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذّب لابن بطال ٢٣٨/١ بتحقيق مصطفى سالم ط/١ المكتبة التجارية بمكة المكرمة ١٩٨٨م. وينظر: التعريفات الفقهية لمحمد عميم الإحسان صـ ٢٠٥ ط/١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٤هـ.

ذكيٌّ: إذا كان تامَّ الطيبِ، كاملَ نفاذِ الريحِ"[1]؛ ومن ثم يُستبعد المعنى الحرفي هنا في قوله: (لَم يُكَدِّرهُ عَلَينا مُكَدِّر)؛ فليس مجلس الحبيبين ماءً على الحقيقة أو نهرا؛ حتى يتصور أن يعكره القذي، أو يذهب صفوه بعض الغبار. كما تستبعد حرفية قوله:(يَمُجُّ ذَكِيَّ المِسكِ منها مفلَّج)؛ فليس فم الحبيبة مصنع عطور حتى تُخلط بداخله حبيبات المسك، ولا هو سرة ظبي يتكيس فيها ذلك المسك الذكي!.

إن هذه الدلالة المعجمية للفظين: (يكدر – المسك) تُعد في التحليل التداولي قرينة لغوية اجتماعية على صرف الكلام عن ظاهره، كما أنها كذلك تمثل انتهاكا صريحا من الشاعر لواحد من مبادئ الطريقة أو الكيفية القائمة بالأساس على احترام قواعد الحوار بالتزام الوضوح في الكلام، وتجنب الغموض، والبعد عن الالتباس القصدي. كما أن فيه اختراقا لمبدأ النوع والكيف، ذلك المبدأ القائم على التزام الصدق.

يتمتع الباث هنا بقدر كاف من حسن الظن بالمتكلم؛ ومن ثم فلا يتوقع منه الخداع والتضليل، بل يفترض فيه أن يلقي على المستقبِل خبرا ما؛ بدليل أنه ذكر جملتين خبريتين: (يكدره علينا مكدرُ – يمج ذكي المسك منها مفلج)، وهذه الثقة من الباث في لقانة المستقبِل تحتم عليه التنقير عن استلزام حواري تداولي يجلي الغرض، ويقضي حق المعنى، ويصل من رحم المقام ما أُمر به أن يوصل.

إن الباعث الحثيث للمتحدث على الأسلوب الاستعاري (يكدره علينا مكدر – يمج ذكي المسك منها مفلج) [2] ليس سوى وثوقه الكامل في كفاءة

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري ٣٦٥/٢ بتحقيق حاتم صالح الضامن ط/١ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٢م.

(٢) الجملتان من قبيل الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل (يكدر)؛ استئناسا بأصل دلالته المعجمية المرتبطة بالماء،ونحوه من الموائع. والاستعارة الأصلية في لفظة (المسك) وأصله الطيب المعروف، وهو بعض دم الغزال.

المستقبل اللغوية، وقدرته التأويلية، وأن هذا المتلقي مأمول فيه أن يكون قادرا على فهم المعنى غير الحرفي لجملة (يكدره علينا مكدر – يمج ذكي المسك منها مفلج)؛ فالمتكلم يريد هنا أن يصور في القوة الاستعارية الأولى صفاء مجلسه مع الحبيبة (نُعْم) في صورة صفاء الماء النقي الخالي من مطلق الشوائب، وعموم القذى، وفي المحتوى القضوي للاستعارة الثانية يصور عذوبة ريق الحبيبة (نُعْم) وجمال رائحة فمها، ولمعان أسنانها بفعل جريان ذلك الريق.

ومن ثم فإن المعنى الاستلزامي الصادر من هذا الخرق المتعمد لهاتيك المبادئ الحوارية يتمثل في تصوير الفتى عمر هناءة قلبه، وفرحة فؤاده، واغتباطه بما تمتع به مع الحبيبة من مجلس صاف إلى القلب حبيب، ولقاء زانه بُعْدُ الرقيب.

ولقد وظف الشاعر حزمة من الأفعال التأثيرية الإيجابية لتعميق المجرى الاستلزامي للمعنى في نفس المستقبل، ذلك المعنى القائم على تصوير صفاء اللقاء، وجمال ثغر الحبيبة، وطيب رائحته.

ومن هاته الأفعال قوله:( فَبِتُّ قَريرَ العَينِ ... أُعطيتُ حاجَتي ... أُقَبِّلُ فاها ... فَيا لَكَ مِن لَيلٍ تَقاصَرَ طولُهُ ... وَما كانَ لَيلى قَبلَ ذَلِكَ يَقصُر – يمج ذكي المسك منها مفلج – رقيق الحواشي)، وقد ضاعفت هذه الأفعال التأثيرية تداوليا قدرة المحتوى القضوي التداولي لجملتي الاستعارة على تصوير مقصد المتكلم، وتجلية مراده، ومن ثم فقد أسهم بالطبع في الكشف عن قصدية الباثِّ الكامنة وراء هاته المتتاليات التركيبية والمتمثلة في صفاء الهوى وقت اللقاء يمجُّه قضاء لبانات الفؤاد المسهَّد، وريق رحيق كوثري كأنه جنى النحل، بل أين الجنى منه يمثل؟!.

وهكذا تتجلى الدلالة الاستلزامية التداولية للمشهد في صورة حبيبين ظميئين متحرقين، راحا في غفلة من الرقيب يرويان صداهما برضاب اللقاء الحبيب.

**الاستعارة الثامنة:**

قوة البنية الاستعارية هنا تتموضع في البيت الخامس والأربعين من الفضاء النصي لمدونة الدراسة، حيث جملة:( وَإمّا يَنالُ السَيفُ ثَأراً، فَيَثأَرُ) المنسوجة في سياق أبيات تحكي لحظة انتهاء اللقاء بين الحبيبين، وقرب الفراق، وسؤال (نُعْم) حبيبها(عمر) ماذا يفعل، وقد لاح الصبح، ونادى مناد القوم بالرحيل؟ وجوابه إياها بما روعها. تقول الأبيات:

**٤٣ – فَما راعَني إلّا مُنادٍ: تَرَحَّلوا، وَقَد لاحَ مَعروفٌ مِنَ الصُبحِ أَشقَرُ !**

**٤٤ – فَلَمّا رَأَت مَن قَد تَنَبَّهَ مِنهُمُ وَأَيقاظَهُم، قالَت: أَشِر كَيفَ تَأمُرُ ؟**

**٤٥ – فَقُلتُ: أُبادِيهِم، فَإِمّا أَفوتُهُم، وَإِمّا يَنالُ السَيفُ ثَأراً، فَيَثأَرُ .. !**

تتمترس القوة الاستعارية بالبيت الأخير من أبيات السياق، وفيها يخبر الشاعر عن احتمالية ثأر السيف منه، والسيف في الحقيقة لا يثأر، ولذا فإن القرينة اللغوية في قوله: (يَنالُ السَيفُ ثَأراً، فَيَثأَر) تحظر على المتلقي قبول المعنى الحرفي المعجمي، والتسليم بمجرد المحتوى القضوي لهذا التركيب؛ إذ لا يتأتى الثأر إلا من عاقل ذي إرادة، وليس كذلك السيف، وهذا يحفز المستقبِل أن يبذل الوقت بحثا عما وراء الكلام من معنىً مؤمِّ، ومقصد منشود؛ نزولا على قانون الكفاءة اللغوية؛ ولا بدع في ذلك؛ فالحوار بالأساس قائم على التعاون بين طرفي المعادلة التحاورية: الباثّ، والمستقبِل.

إن القوة الإنجازية الحرفية لفعل الثأر تشتمل على الإرادة والترصد والوعي وهذا المعنى المعجمي الحرفي للثأر يأبى على المتلقي أن يحمله هنا على ظاهره؛

فليس السيف بإنسان عاقل؛ حتى يتجه صوب الشاعر بقصد الثأر؛ ومن ثم استُبعِد المعنى الحرفي للفعل (يثأر) هنا في قوله: (يَنالُ السَيفُ ثَأراً، فَيَثأَر).

وهذه الدلالة المعجمية للفعل (يثأر) قرينة لغوية اجتماعية على صرف الكلام عن ظاهره، وإنباء بانتهاك واضح من الشاعر لواحد من مبادئ

الاستلزام الحواري وهو مبدأ الطريقة أو الكيفية المتبني الوضوح في الكلام، ومجانبة الالتباس القصدي، ومخاصمة مظاهر الغموض.

إن المفترض في الحوار – طبقا لـ (كرايس) أن يكون قائما على التعاون؛ فلا يتوقع من المتكلم، ولا يقبل منه أن يقوم بالخداع والتضليل، بل المتوقع منه أن يلقي على المستقبِل خبرا ما؛ والدليل هنا أنه ذكر جملة خبرية (يَنالُ السَيفُ ثَأراً، فَيَثأَر)، ويرجى وفقا لـ (كرايس) التزام الباثّ بمبدأ التعاون، غير أن تعيين قصدية المتحدث هنا بجملة: (يَنالُ السَيفُ ثَأراً، فَيَثأَر) ليس بالأمر السهل؛ ومن هنا كان على المستقبِلُ التوجه بدافع الاستلزام الحواري نحو تأويلات مناسبة لما يستدعيه القصد، ويستحسنه عموم السياق.

إن إعمال مبدأ الكفاءة اللغوية المتوقعة بين أطراف العملية التخاطبية كان سببا في لجوء المتحدث إلى الأسلوب الاستعاري (يَنالُ السَيفُ ثَأراً، فَيَثأَر)، وذلك لوثوقه في كفاءة المستقبل التأويلية، وقدرته على فهم المعنى غير الحرفي لجملة الاستعارة؛ فالمتكلم يريد أن يتزين بزينة الشجاعة، ويتخلق بخلق القوة، وعليه فهو هنا شجاع مقدام يواجه أعداءه ولا يبالي ما يكون.

ولا يخفى ما في الأسلوب الاستعاري هنا من انتهاك لمبدأ الطريقة أو (الهيئة) الذي يلتزم الوضوح في الكلام، كما أن فيه اختراقا لمبدأ النوع والكيف، ذلك المبدأ القائم على التزام الصدق، وإلا فمن ذا الذي يقول إن للسيف إرادة وعقلا، وأنه يتأتى منه على الحقيقة هبة للثأر، أو رغبة في العفو.

إن المعنى الاستلزامي التداولي الصادر من هذا الخرق المتعمد لهاتيك المبادئ الحوارية يتمثل في شجاعة الفتى عمر، وقوة بأسه، وشدة جرأته؛ لتتجلى الدلالة الاستلزامية التداولية من خلال قوة الاستعارة في أشكالها المتعددة؛ فيبدو السيف في صورة عاقل له إرادة وتوجه، ينال ثأره من خصمه حيث شاء.

**الاستعارة التاسعة:**

تعد هذه الاستعارة نقطةالنهاية في مجموع الاستعارات التسعة المنثورة على أديم سماء النص، وقد نسجها الشاعر في البيت السادس والخمسين ضمن سياق جزئي يصور خوف الحبيبة على حبيبها الشاعر، ذلك الفتى المتهور الذي روعها باقتحام خدرها، واجتهادها بحثا عن طريقة تخلصه من قومها الأشداء إن كشفوا أمره، واستعانتها بأختيها، وكيف أشاروا عليها. يقول الشاعر:

**٥٣ – فَأَقبَلَتا فَارتاعَتا، ثُمَّ قالَتا: أَقِلّي عَلَيكِ اللَومَ فَاخطُبُ أَيسَرُ !**
**٥٤ – فَقالَت لَها الصُغرى: سَأُعطيهِ مِطرَفي وَدَرعي وَهَذا البُرُدُ إِن كانَ يَحذَرُ !**
**٥٥ – يَقومُ فَيَمشي بَينَنا مُتَنَكِّراً فَلا سِرُّنا يَفشو وَلا هُوَ يَظهَرُ !**
**٥٦ – فَكانَ مِجَنّي دونَ مَن كُنتُ أَتَّقي، ثَلاثُ شُخوصٍ: كاعِبانِ وَمُعصِرُ !**

توجه القرينة اللغوية في قوله: (فكان مِجَنِّي دون من كنت أتقي) المستقبِل أن ينزل على قانون الكفاءة اللغوية؛ فيجتهد في البحث عما وراء الكلام من معنىً مؤمٍّ، ومقصد منشود؛ ولا بدع في ذلك؛ فقبول المعنى الحرفي المعجمي، والتسليم بمجرد المحتوى القضوي لهذا التركيب لا يناصره العقل، ولا يحقه الواقع؛ إذ لا يعقل أن يلبس الشاعر هؤلاء الفتيات درعا ومجنا على الحقيقة؛ كيف، والمجن يلبسه المرء حقيقة على جسده؟! ومن أقوى دوافع المخاطب للتفتيش عن المعنى الاستلزامي الحواري أن الحوار قائم أصالة على التعاون بين الطرفين المتكلم والمخاطب.

إن القوة الإنجازية الحرفية لكلمة مِجَنّ تختص بتلك القُمص المصنوعة من الحديد لحماية المقاتل من الطعنات المسددة نحوه في حومة الميدان، وهذا المعنى المعجمي الحرفي يأبى على المتلقي أن يحمله هنا على ظاهره؛ فلم يلبس الشاعر الفتيات الثلاث درعا على الحقيقة؛ ومن ثم استُبعِد المعنى الحرفي للكلمة (مِجَنِّي) هنا في قوله: (فكان مجني دون من كنت أتقي).

إن هذه الدلالة المعجمية تبرق فتضئ فضاء الجملة الاستعارية، كقرينة لغوية اجتماعية على صرف الكلام عن ظاهره، وتؤطر في الوقت ذاته لانتهاك متعمد لواحد من مبادئ الاستلزام الحواري، وهو مبدأ الطريقة أو الكيفية القائم بالأساس على التزام الوضوح في الكلام، وتجنب الالتباس والغموض.

وبما أن التعاون بين طرفي الخطاب أَمَلُ (كرايس) الأعظم في الخطاب – طبقا لقاعدة الاستلزام الحواري – ؛ فلا يرجى من المتكلم إلا الوضوح، ولا يقبل منه أن يقوم بالخداع والتضليل، بل المتوقع منه أن يلقي على المستقبِل خبرا ما؛ والدليل هنا أنه ذكر جملة خبرية (فكان مجني دون من كنت أتقي)، والمأمول في هذا المتكلم – ودائما وفقا لـ (كرايس) – أنه ملتزم بمبدأ التعاون.

ولما لم يكن تحديد قصدية الباثّ هنا بالأمر السهل تحتم على المستقبل التوجه بدافع الاستلزام الحواري نحو تأويلات مناسبة لما يقتضيه الغرض، ويتطلبه المقام.

لقد جاء تفعيل مبدأ الكفاءة اللغوية المتوقعة بين أطراف العملية التخاطبية كأقوى سبب في لجوء الباثّ إلى الأسلوب الاستعاري (مجني دون من كنت أتقي)، وذلك انطلاقا من وثوقه في كفاءة المستقبل، وقدرته التأويلية، وأنه مستقبِل فطن لا يُشكُّ في قدرته على فهم المعنى غير الحرفي لجملة (مجني دون من كنت أتقي)؛ فالمتكلم يريد أن يصور الحبيبة (نُعْم) وأختيها، وقد أحاطتا به إحاطة السوار بالمعصم في صورة الدرع المحيطة بلابسها.

وكم هو ظاهر هنا ذلك الانتهاك القوي المتعمد بفعل الأسلوب الاستعاري لمبدأ الطريقة أو (الهيئة)، ذلك المبدأ الذي يلتزم الوضوح في الكلام، كما أن ثمّ اختراقا لمبدأ النوع والكيف، ذلك المبدأ القائم على التزام الصدق، وإلا فمن ذا الذي يقول إن الحبيبة (نُعْم) وأختيها أصبحن درعا تدرع بها ذلك الفتى عمر؟.

إن المعنى الاستلزامي التداولي الصادر من هذا الخرق المتعمد لهاتيك المبادئ الحوارية يتمثل في خوف الحبيبة على الشاعر، ومداراته؛ حتى يتوفر له خروج آمن من حمى قومها الأشداء.

وهكذا تتجلى الدلالة الاستلزامية التداولية من خلال قوة الاستعارة في أشكالها المتعددة؛ ويبرزها التفاف الفتيات الثلاث حول الشاعر في صورة التفاف الدرع حول لابسها.

وهكذا ينجح الشاعر في زركشة فضائه الإبداعي للمدونة محل الدراسة المتمثلة في رائيته الشهيرة، وتزيين سماء النص بطاقات من أنوار الاستعارات الغنية الموحية التي توسل بها الشاعر لتحقيق استلزام حواري خادم للغرض، مقوٍّ للمعنى، باعث على استفزاز المقام عن طريق اختراق مبادئ الحوار التي أسسها (كرايس) واثقا في كفاءة المستقبِل اللغوية؛ فحمل الكلام بحمولات دلالية غنية خفية لا تفتر عن ثغرها إلا بنهوض المتلقي لها، وإخلاصه في تحقيق التعاون التخاطبي المثمر، وذلك بالاستعانة بسياق اللغة وسياق الموقف وسياق المقام هذه الثلاثة التي كانت في جميع استعارات الشاعر هي الموجه الأول للمتلقي نحو الدلالة التأويلية، وتحريف بوصلة الخطاب بعيدا عن الدلالات المباشرة للمحتويات القضوية لجمل الاستعارات.

## المبحث الثالث:

### الاستلزام الحواري والكناية:

تعد الكناية ضمن أنصع آليات تحقق الاستلزام الحواري في اللغة العربية؛ وهي آلية قوية وفعالة من آليات الانزياح اللغوي، أو الاقتضاء التخاطبي، وفيها يتجلى مبدأ التعاون الحواري في أبهى حلله، ويبرز – من خلالها – على سطح النص مبدأ الكفاءة اللغوية؛ إذ ينطلق الباثّ من الثراء الدلالي المتوشح بالقوة الكنائية؛ فيمنح المستقبِل فرصة عظمى يُفَعِّل من خلالها كفاءته اللغوية، وقدراته التأويلية، ويحفز نشاطه القرائي؛ فينغلّ ذلك المتلقي الموثوق بفطانته في حنايا النصوص، مُنْدَسّا بين شعابها في محاولات جادة ومحتفذة لقراءة ما وراء المعاني، أملا في ردم الثغرات الحاصلة بين الإحالة الحرفية للألفاظ وبين ما يمكن أن يستنبطه المستقبل من خفايا الخطاب، وهو يستعين في ذلك برصيده المعلوماتي، مستدعيا مخزونه الثقافي بكل أبعاده ومرجعياته؛ من أجل الوصول إلى قراءة النص قراءة مشبِعة، وتأويله بما يحقق المستهدف، ويعزز المطلوب.

هذا، وقد فتشت الدراسة عن كوامن القوى الكنائية تحت أديم النص في مدونة النظر؛ فرصدت للفتى (عمر) صاحب تلك المدونة عددا من الكنايات بلغت في مجملها ست عشرة كناية، وقد تتولد من الكناية كناية صغرى، فتتوالى الكنايات في البيت الواحد، ولكن الدراسة تعدها كناية واحدة، وتعاملها معاملة الشاهد الواحد؛ كون تلك القوى الكنائية المتعانقة في البيت الواحد تتآزر لتصوير معنى واحد، ومن ثم لتحقيق استلزام حواري واحد، وفيما يلي تقف الدراسة مع هذه الكنايات العمرية الرائعة:

## الكناية الأولى والثانية والثالثة:

تقع عليها العين عند الأبيات: الرابع عشر، والخامس عشر، والسادس عشر من أبيات القصيدة، وفيها يقول الشاعر:

**١٤– رَأَت رَجُلاً، أَمّا إذا الشَمسُ عارَضَت فَيَضحى، وَأَمّا بِالعَشِيِّ فَيَخصَرُ .. !**
**١٥ – أَخا سَفَرٍ، جَوّابَ أَرضٍ، تَقاذَفَت بِهِ فَلَواتٌ، فَهوَ أَشعَثُ أَغبَرُ .. !**
**١٦ – قَليلٌ عَلى ظَهرِ المَطِيَّةِ ظِلُّهُ، سِوى ما نَفى عَنهُ الرِداءُ المُحَبَّرُ !**

وظف الشاعر القوة الكنائية المستكنة في المحتويات القضوية للجمل الآتية: (أَمّا إِذا الشَمسُ عارَضَت فَيَضحى، وَأَمّا بِالعَشِيِّ فَيَخصَرُ ... فَهوَ أَشعَثُ أَغبَر ... قَليلٌ عَلى ظَهرِ المَطِيَّةِ ظِلُّهُ) والكنايات الثلاثة متقاربة إن لم تكن متحدة في مؤداها؛ فمجموعها كناية عن كثرة أسفاره، وشدة تحمله وجلده على رغم ما يلاقيه في أسفاره من حر الشمس صيفا، وبرد الليل شتاء، وهو أشعث أغبر من كثرة الأسفار، حتى لقد نحل جسمه، فأصبح ظله قليلا لا يكاد يبصره ذو البصر، وهذا ما دعا لتناولها تناولا واحدا.

إن السياق العام لهذا الخطاب الشعري تتمركز سيماه حول المدح بالشجاعة، وكثرة الأسفار، واقتحام الفلوات على ظهر الراحلة دون انقطاع للحد الذي أثر في الشاعر؛ فذبل عوده، ونحل جسمه؛ فلا يكاد يُرى على متن الراحلة ظله.

لقد وظف الشاعر لتعزيز هذا السياق سلسلة من البنى الأسلوبية منها: أسلوب الشرط في البيت الأول، وصيغة المبالغة في البيت الثاني، والتقديم في البيت الثالث، وقد برزت في هذا السياق ملابسات العملية التخاطبية، وظروفها؛ فوجهت بوصلة المتلقي جهة المعنى الاستلزامي للمحتوى القضوي لهاتيك الكنايات، فليست جملة الكناية مستخدمة من أجل توصيل معناها الحرفي للمتلقي، بل هي وسيلة انزياحية يعرج من خلالها المستقبِل إلى سماء النص بحثا عن دلالة تأويلية، أو فرصة تخاطبية تتحدد على إثرها قصدية المتكلم المتخفية وراء هذه القوة الإنجازية الحرفية لجملة الكناية؛ فليس الشاعر

معنيا بنقل خبر أسفاره عِنَايَتَهُ بما وراء هذا الخبر من وصفه بالشجاعة المستدل عليها بالمحتوى القضوي لجملة الكناية الأولى(رَأَت رَجُلاً، أَمّا إِذا الشَمسُ عارَضَت فَيَضحى، وَأَمّا بِالعَشِيِّ فَيَخصَرُ)، وهو معنيّ كذلك بوصفه بكثرة الأسفار، والتعرض للحر والقرّ المتوجه إليها عبر القوة الإنجازية الحرفية لقوله:( أشعث أغبر)، ومهتم أيضا بوصفه بنحول الجسم الناجم عن كثرة الأسفار الملتحف بالبنية اللفظية للقوة الكنائية في جملة: ( قليل على ظهر المطية ظلُّه). وهكذا وظف الشاعر ألفاظ الكنايات الثلاث ليس بوصفها ألفاظا تدل على المعنى الحرفي لها، بل بوصفها علامات موحية يرتبط استخراج دلالتها بملابسات العملية التخاطبية وظروفها المتباينة.

بات واضحا أن الدلالة التأويلية للكلمات (يَضْحَى – يخصَر – أشعث – أغبر – قليل – ظله) تتمثل في استمرار الشاعر في أسفاره رغم ما يصيبه من حر الشمس القاتل، وبرد الشتاء القارس، وتأثير ذلك فيه بشعوسة شعره، واغبرار وجهه، وبنحول جسمه، وأن هذه الدلالة التأويلية هي عين ما يقصده الشاعر؛ لأن الخطاب أُنجز في مقام خاص هو امتداح الشاعر نفسه، ومن ثم فالمقام لا يسمح بقبول المعنى الحرفي لمكونات الكناية على المستوى المعجمي، وهذا العدول السياقي التداولي حدث نتيجة خرق أحد مبادئ السياق الاجتماعي والثقافي، وعليه فإن الشاعر عندما تلفظ بجمل: (رَأَت رَجُلاً، أَمّا إِذا الشَمسُ عارَضَت فَيَضحى، وَأَمّا بِالعَشِيِّ فَيَخصَرُ ... فَهوَ أَشعَثُ أَغبَر ... قَليلٌ عَلى ظَهرِ المَطِيَّةِ ظِلُّهُ) قصد جملا أخرى مدلولها( رأتني حليف أخطار، ونضو أسفار، أستمر في سفري على برد الشتاء، وحر الصيف، وقد نحل جسمي جراء تعرضي لحر الصيف، وبرد الشتاء على ظهر راحلتي)، وهذه الدلالة الاستلزامية وفق نظرية (كرايس) لأن الباثّ أخذ بعين الاعتبار مبدأ التعاون، كما أن السياق اللغوي للخطاب يصرف المستقبل عن الأخذ بالمعنى الحرفي للمحتوى القضوي لجمل الكناية.

**الكناية الرابعة:**

تتجلى هذه الصورة الكنائية في قول الشاعر في البيت الثامن عشر لمدونة النص التداولي:

**١٨ – وَوالٍ كَفاها كُلَّ شَيءٍ يَهُمُّها، فَلَيسَت لِشَيءٍ آخِرَ اللَيلِ تَسهَرُ !**

بتأمل القصيدة يظهر تسجيل السياق اللغوي لهذا الشاهد وسط كوكبة من الأبيات تتمركز بؤرتها الدلالية حول دهشة تلك الفتاة المنعمة وما تملكها من عجب حين رأن حبيبها الفتى (عمر) وقد ظهر عليه أثر الأسفار، وغير ملامحه كر الليل والنهار، وهذا الشاهد صورة كنائية يصف فيها الشاعر حال من أحوال حبيبته (نُعْم)، وهي كونها منعمة مرفهة؛ لا تسهر الليل في خدمة البيت، وتدبير احتياجاته، كما تفعل غالب النساء؛ فقد كفاها وليها كل نصب.

ورغم أن الشاعر صور هذا المحتوى القضوي بأسلوب خبري بصيغة جملة فعلية منفية إلا أن السياقين المقامي والمقالي للخطاب يكشفان عن غير ذلك، ويدفعان للتوجه ببوصلة الحوار بعيدا عن المعنى الحرفي لجملة الكناية، فأما سياق المقال، فالشاعر في القصيدة يتحدث عن فتاته المنعمة، وأنها رقيقة الحواشي ربيبة التنعم، وأنها مصونة في عشيرتها، وأن ثيابها الحرير، وأنها بيضاء يلوح عارضها كما تلوح الشمس في الأفق؛ مما يعزز تنعمها، وعدم تعرضها للشمس.

وأما سياق المقام فالقصيدة مضفورةٌ غزلية ضفرها الفتى (عمر) العاشق المعشوق في بيان تولهه بـ(نُعْم) وعشقها إياه، وأنه تحمل في سبيل ذلك خطر التسلل إلى خبائها على حين غفلة من أهلها الفرسان، وبني عمومتها المغاوير، ومن ثم فلا يخدم المقام أن تكون معشوقته ممتهنة في أثمال بالية، بل كونها في عيشة راضية، تنعم في عش الهوى لاهية.

إن الدلالة الاستلزامية لهذا الخطاب الكنائي تتمثل في النعمة والترف؛ لأن الدلالة الحرفية لا تكشف أن قصد الشاعر بقوله: (فَلَيسَت لِشَيءٍ آخِرَ اللَيلِ تَسهَر) أن الحبيبة منعمة مرفهة، مخدومة غير ممتهنة؛ إذ القوة الإنجازية

الحرفية للتركيب الكنائي لا تعدو كون الموصوفة لا تسهر، وهذا بالقطع لا يعنى حرفيا التفكه والنعيم، و إنما فُهم هذا المعنى الاستلزامي الحواري من سياق الموقف بمعونة سياق المقال.

إن مقاربة الخطاب الكنائي هنا:(فَلَيسَت لِشَيءٍ آخِرَ اللَيلِ تَسهَر) يبين قفزات الشاعر على مراحل ترتيب الأحداث؛ لكثرة الوسائط بين الملزوم واللازم؛ لأن نوم الحبيبة، وعدم سهرها لشيء ليلا يستلزم أن غيرها يقوم بشؤونها، وقيام غيرها بشؤونها يستلزم غنى أهلها، وغناهم يستلزم علو الجاه، وعلو الجاه يستلزم كثرة الخدم، وذلك – لاجرم – مفضٍ إلى كونها منعمة مخدومة لا تراها حرارة الشمس، ولا تعرف طعم النصب.

**الكناية الخامسة والسادسة:**

ترصد الدراسة هاتين الكنايتين عند هذا السياق الجزئي في مدونة النظر:

**٢٥ – فَلَمّا فَقَدتُ الصَوتَ مِنهُم، وَأُطفِئَت مَصابيحُ، شُبَّت في العِشاءِ وَأَنْؤُرُ .. !**

**٢٦ – وَغابَ قُمَيرٌ كُنتُ أهوى غُيوبَهُ، وَرَوَّحَ رُعيانُ، وَنَوَّمَ سُمَّرُ ..!**

**٢٧ – وَخُفِّضَ عَنّي النَومُ، أَقبَلتُ مِشيَةَ الـ حُبابِ، وَشَخْصِي خَشيَةَ الحَيِّ أَزوَرُ ..!**

تعد هاته الأبيات رسالة لغوية تداولية موجهة من الشاعر بوصفه الباثَّ أو المُحْدِث لهذا الخطاب إلى المخاطب بهذه القصيدة المتمثل في القارئ والسامع، وقد استثمر المرسل الذي هو الشاعر هنا من مبادي (كرايس) التداولية مبدأ الملائمة والكيف في هذا الخطاب من أجل إنتاج دلالة حوارية سياقية تناسب الموقف، وترضي المقام، فالشاعر لم يصرح مباشرة بلفظ النوم، وإنما استعمل؛ وصولا إلى ذلك حزمة من الألفاظ مثلت مجموعة من الكنايات المتتالية المتجهة صوب غرض واحد، ودلالة استلزامية بعينها، و هذه الكنايات: (فَقَدتُ الصَوتَ مِنهُم ... وَأُطفِئَت مَصابيحُ ... وَغابَ قُمَير ... وَرَوَّحَ رُعيانُ ... وَنَوَّمَ سُمَّر ... أَقبَلتُ مِشيَةَ الحُبابِ).

استعمل الشاعر هذه الألفاظ بوصفها لا تتقيد بدلالتها المعجمية الحرفية؛ لأنها هنا جاءت في سياق خاص هو سياق التسلل إلى ديار الحبيبة

ليلا، والاختباء قريبا من خدرها؛ مُنْيَةَ الظفر بلقائها، ومن ثم فالشاعر لا يقصد المعنى الحرفي لفقد الصوت، ولا إطفاء المصابيح، وغياب القمر، ورواح الرعيان، وغياب السُّمَّر، إنما يومئ بذلك إلى غير المحتوى القضوي التداولي لهذه الجمل، فهو يقصد تمكن النوم من قوم (نُعْم)، وهذه الكنايات المتتالية تصب في معنى واحد كما هو ظاهر، وأما قوله بعدها:(أَقبَلتُ مِشيَةَ الحُبابِ) فهو محتوىً قضوي آخر لا يقصد الشاعر أيضا المعنى الحرفي المنتزع من الدلالة المعجمية للفظة الحُبَابِ وهي ضرب من الحيات[1]، وأنما مقصود الشاعر من هذا أن يصور شدة حرصه، ومبالغته في التخفي؛ حتى لا يفطن له أحد من أقارب الحبيبة.

وكما وثق المتكلم في كفاءة مخاطبه اللغوية فإن المخاطب لم يخذل ذلك المتكلم، بل تلقف رسالته المشفرة، ففك شفرتها، وفهم قصده؛ فأنتج ذلك المستقبِل هذه الدلالة الاستلزامية الحوارية التداولية المتمثلة في أمرين: نوم الرقيب، وشدة حرص الشاعر على التخفي في تسلله لخباء حبيبته.

ترصد الدراسة هنا تفعيل سلوك اجتماعي يتمثل في إطفاء المصابيح عند النوم، فالقوم إذا أرادوا الخلود للنوم أطفأوا مصابيحهم؛ حتى تستريح عيونهم من نفاذ أشعة هذه المصابيح، كما تتجلى الطريقة الإقناعية هنا بوصفها بعدا استلزاميا تداوليا، فالشاعر استدل على نوم القوم من إطفاء المصابيح، وراح يوظف هذا السلوك لإقناع المستقبل بمضمون رسالته، ويدلل عليها به.

علاقة النص بالمقام إذن هي التي وجهت بوصلة الدلالة إلى المنطقة التأويلية للخطاب، ولولا معونة سياق الموقف ما أمكن تأويل عبارات: (فَقَدتُ الصَوتَ مِنهُم ... وَأُطفِئَت مَصابيحُ ... وَغابَ قُمَير ... وَرَوَّحَ رُعيانُ ... وَنَوَّمَ سُمَّر ... أَقبَلتُ مِشيَةَ الحُبابِ) تأويلا يكشف عن قصدية الباثّ، وقد وظف

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ٢/٩٩٩.

المستقبِل – وصولا إلى هذه الدلالة الاستلزامية التداولية – الآليةَ البلاغية المشكَّلة بنائيا في هذا النمط الكنائي المطرد تداوله، والمتعارف عليه في الوسط الاجتماعي اللغوي.

## الكناية السابعة:

وظف الشاعر هنا التداولية العامة، مستعينا بمبدأ الكفاءة اللغوية؛ وثوقا بالمستقبِل، وحملا له على البحث عن الدلالات الاستلزامية الحوارية للمحتوى القضوي للخطاب، ورسالة الباثِّ إلى المتلقي هنا تمثلها القوة الإنجازية الحرفية لجملة الكناية، وفيها يقول الشاعر:

**٢٩ – وَقالَت وَعَضَّت بِالبَنانِ: فَضَحتَني، وَأَنتَ اِمرُؤٌ مَيسورُ أَمرِكَ أَعسَرُ !**

جاء هذا المحتوى القضوي(عضت بالبنان) محملا بحمولات دلالية خفية لا يدل عليها مجرد الفضاء المعجمي للعض الذي لا يخرج عن الشدِّ بالأسنان[(١)].

والسياق العام لهذا الخطاب الشعري(عضت بالبنان) تتبُّعُ لقاء الحبيبين(عمر ونُعْم) ووصفه بدقة، وهذا السياق تتمركز سيماه حول دهشة الحبيبة لما فاجأها في خدرها ليلا هذا الفتى الغرُّ الشديد الجرأة، وإفراخ روعها رويدا رويدا حتى ذهب عنها ما تجد، وقد عزز الشاعر ذلك بجمهرة من البنى الأسلوبية المتاخمة للقوة الكنائية منها: الفاء الثانية في قوله قبل بيت الشاهد مباشرة:( فَحَيَّيتُ إذ فاجَأتُها، فَتَوَلَّهَت)، ومنها الطباق المجاور للمحتوى القضوي للكناية في قوله:( مَيسورُ أَمرِكَ أَعسَرُ)، والاستفهام بعد الشاهد مباشرة في قول الحبيبة للشاعر:(ألم تَخَفْ؟)، ووسط هذه الأجواء السياقية تتولد الدلالة الاستلزامية لبنية الكناية في قوله :( عضت بالبنان) ويتجلى هذا الاستلزام التخاطبي في الخجل والدهشة، وهذا البعد التأويلي لـ (العض) قاد إليه السياقان سياق اللغة وسياق المقام.

---

(١) العين للخليل ٧٢/١.

أما سياق اللغة فكما سبق من انحصار الدلالة المعجمية لفعل العض في الشد بالأسنان، وأما سياق الموقف فظهر أن الشاهد حضر إلى فضاء المدونة في صحبة سياق خاص يتناول تولُّه الفتى (عمر) بحبيبته (نُعْم)، وتوفره على وصف دقائق اللقاء بعد رحلته القاسية، وهذان السياقان هما الفاعل الأول في توجيه المستقبِل شطر البعد التأويلي، وحمله على تحريف بوصلة الخطاب بعيدا عن الدلالة المعجمية، أو القوة الإنجازية الحرفية للخطاب، وقد تم ذلك بالفعل فأول المتلقي العض بالبنان هنا إلى معنى الخجل، والدهشة، والخوف من الفضيحة.

لم يبق هنا إلا القول بأن هذا العدول السياقي التداولي إنما حدث نتيجة خرق أحد مبادئ السياق الاجتماعي والثقافي، ومن ثم فإن الشاعر عندما تلفظ بجملة :(عضت بالبنان) إنما قصد جملة أخرى ( خجلت، ودهشت، وعجبت مما رأتْ)، وهذه الدلالة الاستلزامية إنما حدثت لأن المتكلم – وفقا لـ (كرايس) – احترم مبدأ التعاون عن طريق الخرق المقصود لأحد مبادئ السياق الاجتماعي والثقافي، ولأن سياق اللغة بمعونة سياق المقام يرفضان الدلالة الحرفية للعض بالبنان، ولولا سياق الموقف لما تمكن المتلقي من التوجه نحو الدلالة التأويلية، ولما تحقق هذا الاستلزام الحواري.

**الكنايات: الثامنة والتاسعة والعاشرة:**

تقع العين على هذه الكنايات عند الأبيات: الأربعين، والحادي والأربعين، والبيت الخمسين من أبيات القصيدة، وفيها يقول الشاعر:

**٤٠ – وَتَرنــو بِعَينَيهــا إِلَيَّ، كَمــا رَنــا إِلى ظَبْيَــةٍ وَســطَ الخَميلَــةِ، جُــؤذَرُ !**
**٤١ – فَلَمّــا تَقَضّــى اللَيــلُ إِلّا أَقَلَّــهُ، وَكــادَت تَــوالي نَجمِــهِ تَتَغَــوَّرُ .. !**
**٥٠ – فَقامَت كَئيباً لَيسَ في وَجهِها دَمٌ، مِــنَ الحُــزنِ، تُــذري عَــبرَةً تَتَحَــدَّرُ .. !**

تستكن القوة الكنائية في المحتويات القضوية للجمل الآتية:( وَتَرنو بِعَينَيها إِلَيَّ، كَما رَنَاإِلى ظَبْيَةٍ وَسطَ الخَميلَةِ، جُؤذَرُ ... وَكادَت تَوالي نَجمِهِ تَتَغَوَّرُ .. لَيسَ في وَجهِها دَمٌ). والسياق العام لهذا الخطاب الشعري تتمركز سيماه حول

وصف الشاعر حالين مختلفين للحبيبة: حالها عند اللقاء، وحالها لما دنت ساعة الفراق.

والشاعر قطعا لا يقصد القوة الإنجازية الحرفية لهاته المحتويات القضوية، والذي يدل على ذلك إنما هو سياق الموقف بمعونة سياق المقام.

فأما سياق المقام فيكمن في أن فضاء مدونة النص لا يلمع فيه إلا تمجيد الشاعر نفسه، وخلع حلل الشجاعة عليها، والاستدلال على ذلك برحلته الوعرة إلى الحبيبة، واقتحامه خيمتها بين قومها، ومدى حبها إياه، وإشفاقها عليه من تهوره.

وأما سياق الموقف القريب فيتمثل في وصف الشاعر حاليْ الحبيبة ساعة اللقاء ولحظة الفراق.

وهاذان السياقان يأبيان على المستقبل قبول الدلالة الحرفية للبني الكنائية، وإلا فليس مقصود الشاعر كون الحبيبة جؤذرا ولا الشاعر طبيا كما تخبر الكناية الأولى، كما أنه لا يعني بالإخبار عن تغيب النجوم آخر الليل كما في الكناية الثانية، وهو أيضا لم يكن طبيبا متخصصا في أمراض الدم حتى يقطع بغياب الدم عن وجه الحبيبة في الكناية الثالثة؛ ومن ثم لم يكن أمام المسقبِل خيارات، بل تحتم عليه التوجه نحو الدلالات التأويلية لهذه القوى الإنجازية الحرفية للمحتويات القضوية لجمل الكنيات الثلاث.

من هنا تمثلت الدلالة الاستلزامية للمحتوى القضوي الأول في شدة تعلق (نُعْم) بحبيبها الشاعر، وأنها لا تحس الأمان إلا تحت جناحه، ومن ثم لا تنفك تتطلع في وجهه، وتنعم براحة البال في واحة عينيه.

أما الدلالة الاستلزامية المختبئة وراء القوة الإنجازية الحرفية للجملة الثانية من جمل الكناية (وَكادَت تَوالي نَجمِهِ تَتَغَوَّر) فتتجلى في تقضي أغلب الليل، واقتراب طلوع النهار، وتعرّي بياضه عن ثوب الغلس، واستلال الفجر من غمد الظلام.

وأما الدلالة الاستلزامية الثالثة للمحتوى القضوي (لَيسَ في وَجهِها دَمٌ) فهي الكآبة، والحزن العميق المخيم على قلب الحبيبة المنعكس على وجهها بسبب دنو النوى، وحينونة الفراق.

وهكذا وظف الشاعر ألفاظ الكنايات الثلاث ليس بوصفها ألفاظا تدل على المعنى الحرفي لها، بل بوصفها علامات موحية يرتبط استخراج دلالتها بملابسات العملية التخاطبية وظروفها المتباينة الدافعة صوب التأويل، وهذه الدلالة التأويلية هي عين ما يقصده الشاعر؛ لأن الخطاب أُنجز في مقام خاص هو وصف حال الحبيبة مبتدى اللقاء ومنتهاه؛ ومن ثم فالمقام لا يسمح بقبول المعنى الحرفي لمكونات الكناية على المستوى المعجمي، وهذا العدول السياقي التداولي حدث نتيجة خرق أحد مبادئ السياق الاجتماعي والثقافي، وهذه الدلالة الاستلزامية وفق نظرية (كرايس) لأن الباثّ أخذ بعين الاعتبار مبدأ التعاون، كما أن سياق الخطاب يصرف المستقبل عن الأخذ بالمعنى الحرفي للمحتوى القضوي لجمل الكناية.

## الكناية الحادية عشرة حتى الثالثة عشرة:

تتجلى هذه الصور الكنائية الثلاثة في قول الشاعر في مدونة النص التداولي:

**٦٣ – وَقُمتُ إِلى عَنسٍ تَخَوَّنَ نَيَّها، سُرى اللَيلِ، حَتّى لَحمُها مُتَحَسِّرُ !**

**٦٥ – وَماءٍ بِمَوماةٍ قَليلٍ أَنيسُهُ، بَسابِسَ، لَم يُحدُث بِهِ الصَيفَ مَحضَرُ !**

**٦٦ – بِهِ مُبتَنىً لِلعَنكَبوتِ كَأَنَّهُ عَلى طَرَفِ الأَرجاءِ خامٌ مُنَشَّرُ !**

بتأمل القصيدة يظهر تسجيل السياق اللغوي لهذه الشواهد وسط كوكبة من الأبيات تتمركز بؤرتها الدلالية حول معنى استلزامي واحد هو حديث الشاعر عن ناقته القوية الوفية التي تلازمه على كل أحواله، ويسرد جانبا من هذه الأحوال في عودته من رحلته الأخيرة إلى الحبيبة(نُعْم)، وهذا ما دعا لجمع ثلاثتها في قرن، وقد افترّ هذا السياق الموقفي الجزئي عن ثلاث محتويات قضوية تكتنفها ثلاث صور كنائية على النحو التالي:

المحتوى القضوي الأول:(تَخَوَّنَ نِيَّهَا)، ومعناه الحرفي: تنقص شحمها؛ لأن التخوّن التنقّص[١]، والنِّيّ الشّحْم[٢]، ورغم أن الشاعر صور هذا المحتوى القضوي بأسلوب خبري بصيغة جملة فعلية إلا أن السياقين المقامي والمقالي للخطاب يكشفان عن غير ذلك، ويدفعان للتوجه ببوصلة الحوار بعيدا عن المعنى الحرفي لجملة الكناية، فأما سياق المقال، فالشاعر في القصيدة يتحدث عن ناقته وما لاقته معه من تهلكة.

وأما سياق المقام فالقصيدة مضفورةٌ غزلية ضفرها الفتى (عمر) العاشق المعشوق في بيان تولهه بـ(نُعْم) وعشقها إياه، وأنه تحمل في سبيل ذلك خطر الرحلة إليها على هذه الناقة النجيبة في هذي الفيافي المهلكة، ومن ثم فلا يخدم المقام أن تكون راحلته سمينة ذات شحم ولحم؛ لأن ذلك يَعُوقُها عن مهمتها، ويقعد بها عن إسعافه.

إن الدلالة الاستلزامية لهذا الخطاب الكنائي تتمثل في النجابة والقوة والسرعة؛ لأن الدلالة الحرفية لا تكشف أن قصد الشاعر بقوله: (تخون نيها) أن الناقة قوية سريعة نجيبة؛ إذ القوة الإنجازية الحرفية للتركيب الكنائي لا تعدو كون الناقة هزيلة قليلة اللحم، عديمة الشحم، وهذا لا يعنى حرفيا النجابة والقوة، إنما فُهم هذا المعنى الاستلزامي الحواري من سياق الموقف بمعونة سياق المقال، ولا يخفى هنا ما يصحب الكناية الأم من كناية فرعية متولدة تتمثل في قوله:( تحسر لحمها) فهي كناية داعمة ومعززة للقوة الإنجازية الأولى في قوله: (تخون نيها).

أما عن المقاربة التداولية للخطاب الكنائي الثاني والثالث هنا:(وَماءٍ بِمَوماةٍ قَليلٍ أَنيسُهُ ... بِهِ مُبتَنىً لِلعَنكَبوتِ) فإنهما يظهران ولا ريب عبور الشاعر جسر الوسائط بين الملزوم واللازم؛ لأن قلة الأنيس للماء تستلزم وعورة

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٢٣٨/٧.
(٢) العين للخليل ٣٩٤/٨.

الطريق، ووعورة الطريق تستلزم كثرة المخاطر، وذلك – لاجرم – مفضٍ إلى وحشة المكان، وتزاحم مخاوفه.

إن المعنى الحرفي للمحتوى القضوي (قليل أنيسه) نادرٌ وجودُ الإنس فيه، ورغم أن الشاعر صور هذا المحتوى القضوي بأسلوب خبري بصيغة جملة اسمية إلا أن السياقين المقامي والمقالي للخطاب – وقد سبق بيانهما قريبا – يكشفان عن غير ذلك، ويدفعان للتوجه ببوصلة الحوار بعيدا عن المعنى الحرفي لجملة الكناية، والدلالة الاستلزامية لهذا الخطاب الكنائي تتمثل في استيحاش الشاعر؛ لقلة الأنيس في هذا المكان، وقلة الماء، وشدة تغيره؛ مما يتعذر معه قبوله.

وإنما فُهم هذا المعنى الاستلزامي الحواري من سياق الموقف بمعونة سياق المقال، ولا يخفى هنا ما يصحب الكناية الأم من كناية فرعية متولدة تتمثل في قوله:(لَم يَحدُث بِهِ الصَيفَ مَحضَرُ) فهي كناية داعمة ومعززة للقوة الإنجازية الأولى في قوله: (قليل أنيسه).

وأما عن المحتوي القضوي(بِهِ مُبتَنىً لِلعَنكَبوتِ) فمعناه الحرفي وجود نسج عنكبوتي على صفحة هذا الماء في المكان الموحش الذي ورده الشاعر، والشاعر هنا، وإن كان صور هذا المحتوى القضوي بأسلوب خبري بصيغة جملة اسمية إلا أن سياقيْ الخطاب المقامي والمقالي السابق بيانهما قريبا يأبيان القبول بهذا المعنى المباشر، ويوجهان بوصلة الحوار بعيدا عن المعنى الحرفي لجملة الكناية، والدلالة الاستلزامية لهذا الخطاب الكنائي تتمثل في شدة ركود الماء، وكريه رائحته، وعِيَاف النفس إياه، وذلك منبئ لا محالة عن وحشة المكان.

وإنما فُهم هذا المعنى الاستلزامي الحواري من سياق الموقف بمعونة سياق المقال، وقد عزز الشاعر هنا الكناية الكناية الأم بكناية فرعية متولدة تتمثل في قوله:(كأنه عَلى طَرَفِ الأَرجاءِ خامٌ مُنَشَّرُ) والضمير في (كأنه)

للماء، فهو شبيه الجلد المنشر الذي لم يتم دبغه بعد، وهذه الكناية الفرعية هي كناية داعمة ومعززة للقوة الإنجازية الأولى في قوله: (قليل أنيسه).

**الكناية الرابعة عشرة حتى السادسة عشرة:**

ترصد الدراسة هذه الكنايات الثلاث عند هذا السياق الجزئي في مدونة النظر في الأبيات التاسع والستين والحادي والسبعين والخامس والسبعين من فضاء النص، وفيها يقول الشاعر:

**٦٩ – تُنازِعُني حِرصًا عَلى الماءِ رَأسَها، وَمِن دونِ ما تَهوى قَليبٌ مُغَوَّرُ !**

**٧١ – فَلَمّا رَأَيتُ الضَرَّ مِنها، وَأَنَّني بِبَلدَةِ أَرضٍ لَيسَ فيها مُعَصَّرُ !**

**٧٥ – فَسافَت، وَما عافَت، وَما رَدَّ شُربَها عَنِ الرَيِّ، مَطروقٌ مِنَ الماءِ أَكدَرُ !**

نزولا على نظرية الاستلزام الحواري (الكرايسيَّة) يتوجب القول بأن هذه الأبيات رسالة لغوية تداولية موجهة من فتى قريش المدلل (عمر ابن أبي ربيعة) بوصفه الباثَّ أو المُحْدِث لهذا الخطاب إلى المخاطب بهذه القصيدة المتمثل في القارئ والسامع.

وقد استثمر المرسل الذي هو الشاعر هنا من مبادي (كرايس) التداولية مبدأ الملائمة والكيف القائمين على الوضوح والصدق في هذا الخطاب رغبة في إستنتاج دلالة حوارية سياقية توافق الحال، ويقتضيها السياق، فالشاعر لم يصرح مباشرة بلفظ العطش الذي بلغ منه ومن ناقته ما بلغ نتيجة لوحشة المكان، وإنما استعمل؛ وصولا إلى ذلك حزمة من الألفاظ مثلت مجموعة من الكنايات المتتالية المتجهة صوب غرض واحد، ودلالة استلزامية بعينها، و هذه الكنايات: (تُنازِعُني ... حِرصًا عَلى الماءِ ... وَمِن دونِ ما تَهوى قَليبٌ مُغَوَّرُ ... رَأَيتُ الضَرَّ مِنها ... أَرضٍ لَيسَ فيها مُعَصَّر ... فَسافَت، وَما عافَت، وَما رَدَّ شُربَها ... مَطروقٌ مِنَ الماءِ أَكدَر).

استعمل الشاعر هذه الألفاظ بوصفها لا تتقيد بدلالتها المعجمية الحرفية؛ لأنها هنا جاءت في سياق خاص هو سياق الحديث عن وحشة المكان، وقلة مائه، وانعدام الونيس به، وشدة عطش الشاعر والناقة، ومن ثم

فالشاعر لا يقصد المعنى الحرفي هنا للمنازعة،(تنازعني) ولا المحتوى القضوي المباشر للبئر المتغوّر ماؤه،( قَليبٌ مُغَوَّرُ) ولا كذلك قصد مباشرة غياب السحاب،(أَرضٍ لَيسَ فيها مُعَصَّرُ)، كما أنه ليس معنيا بأن تشم ناقته الماء، أو لا تشمه (فَسافَت، وَما عافَت) ، إنما يومئ بذلك إلى غير المحتوى القضوي التداولي لهذه الجمل، فهو يقصد وحشة المكان، وخلوه من أسباب الحياة، وعلى رأسها الماء؛ ما عكس شدة العطش الذي أصابه، ولحق بناقته. وهذه الكنايات المتتالية تصب في معنى واحد كما هو ظاهر.

لم يخذل المخاطب ذلك المتكلم الواثق في كفاءة مخاطبه اللغوية، بل تلقف رسالته المشفرة؛ فأنتج منها هذه الدلالة الاستلزامية الحوارية التداولية المتمثلة في شدة العطش المترتبة على وحشة المكان، وخلوه من كل أسباب الحياة.

ترصد الدراسة هنا تفعيل سلوك اجتماعي في عالم الأحياء يتمثل في الحرص على الحياة، والمنازعة من أجل البقاء، فقد صور الشاعر منازعة على الماء من أجل استبقاء الحياة وقعت هذه المنازعة بينه وبين ناقته، وهذا شأن كل حي، كما تتجلى الطريقة الإقناعية هنا بوصفها بعدا استلزاميا تداوليا، فالشاعر استدل على صحة وقوع المدافعة من الناقة بشدة العطش، والحرص على الحياة، فقال:( تنازعني حرصا على الماء)، فدعوى المنازعة مشفوعة بدليلها المتمثل في استبقاء الروح.

علاقة النص بالمقام إذن هي التي وجهت بوصلة الدلالة إلى المنطقة التأويلية للخطاب، ولولا معونة سياق الموقف ما أمكن تأويل عبارات: (تُنازِعُني ... حِرصًا عَلى الماءِ ... وَمِن دونِ ما تَهوى قَليبٌ مُغَوَّرُ ... رَأَيتُ الضَرَّ مِنها ... أَرضٍ لَيسَ فيها مُعَصَّر ... فسافت وما عافت) تأويلا يكشف عن قصدية الباثّ، وقد توصل المستقبِل إلى هذه الدلالة الاستلزامية التداولية – عن طريق توظيفه الآليةَ البلاغية المشكَّلة بنائيا في هذا النمط الكنائي المطرد تداوله، والمتعارف عليه في الوسط الاجتماعي اللغوي.

وهكذا تزخرف هذا الخطاب الإبداعي لفتى قريش المدلل عمر ابن أبي ربيعة بهذه الباقة من الكنايات العامرة الثرية الدلالة التي جدلها الشاعر ضمن مصفوفة من الضفائر السياقية الجزئية المجدولة في جديلة كبرى يمثلها السياق الجملي للمدونة منتجع النظر، كما قفز هذا الشاعر المبدع قفزات مدروسة على مراحل ترتيب الأحداث، موظفا في ذلك جسرا من الوسائط بين الملزوم واللازم، وكشف في خطابه الكنائي المفتوح عن خصوصيات تخاطبية لا تنبئ عن خبيئها إلا بتفعيل دور السياق الذي يمنح المستقبل فرصا عظمى للتأويل، والانغلال فيما وراء المحتويات القضوية المباشرة، وخلف القوى الإنجازية الحرفية للخطاب؛ وصولا إلى دلالات استلزامية محددة، وهذا عين الاستلزام الحواري وفقا لـ (كرايس).

## خاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خيرة أنبيائه، وخاتم رسله، وصفوته من خلقه، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،،،

**فقد توصلت هذه الورقة البحثية إلى النتائج الآتية:**

- ✓ سجل البحث ما حفل به التراث العربي من أصول جنينية للنظرية التداولية بفروعها المختلفة – بما فيها الاستلزام الحواري – وذلك لدفع ناشئة الأجيال إلى مزيد من الاعتزاز بتراث أسلافهم من الرواد، وحثهم على القراءة الواعية المتأنية لما دبجته يراع السلف، والتحذير من الانخداع بما يزينه المستغربون من ادعاءات، ويطنطنون به من نفاجات [(١)].
- ✓ عرضت الدراسة لقول بعض المهتمين بالشأن التداولي بأن البحث في الخبر والإنشاء بوصفه أصلا لنظرية الأفعال الكلامية التداولية في التراث العربي لم يكن مقصودا لذاته، ولكن كثيرا ما قُصد به غيره، وبينت الدراسة أنه، وإن كان تناول الأصوليين والمناطقة للظاهرة تناولا عرضيا إلا أن بحث البلاغيين والنحاة كان في صميم التخصص اللغوي، وكان البحث فيها عندهم مقصودا لذاته، بل إن بحث الأصوليين والمناطقة للظاهرة زادها عمقا ودقة، ونقلت الدراسة ما يفيد ذلك من كلام التداوليين العرب[(٢)].
- ✓ تمكنت الدراسة من من تحديد الوحدات الحوارية، أو المعاقد السياقية الكبرى للمدونة فضاء البحث، وذلك على ضوء تعيين المعنى المركزي للقصيدة المتمحور في بؤرة الغزل المنطلق من رؤية الشاعرِ ذاتَه

(١) ينظر: صـ ٢٩٠٥ من هذه الدراسة.

(٢) ينظر: صـ ٢٩٠٨ من هذه الدراسة.

المتضخمةَ على صفحة مرآته المحدبة، ونصت الدراسة على بداية ونهاية هاته الوحدات في حينه[١].

- ✓ ركزت الدراسة فقط على المناطق المخترقة حواريا؛ لكون الاستلزام الحواري يتولد من خرق مبادئ الحوار حصرا، ولكون نظرية (كرايس) قائمة بالأساس على توظيف قواعد المحادثة، وإنما يتحقق ذلك عندما ينتهك قائل ما بصورة جلية هذه القاعدة أو تلك، وعلى مخاطبه في هذه الحالة القيام بفرضيات تمكن من تفسير انتهاك القواعد، وقد أصلت الدراسة لذلك في حينه[٢].
- ✓ أثبتت الدراسة قيام تحاور ناجح في مدونة النظر بين طرفيْ العملية التخاطبية الباثّ المتمثل في عمر ابن أبي ربيعة والمستقبِل المتمثل في كل من يتلقى القصيدة سماعا أو قراءة، وهذا النجاح مرجعه في الأعم الأغلب الخرق المتعمد لمبادئ الحوار وفقا لـ (كرايس)، ذلك الخرق الدافع للمتلقي نحو التأويل بعيدا عن المعنى الحرفي لنص الخطاب، وذلك بمعونة الأسيقة المتحابة: سياق اللغة، وسياق المقام، وسياق الموقف.
- ✓ سلط الباحث الضوء في فضاء مدونة الدراسة على الاستلزام التخاطبي الإنشائي متمثلا في الاستفهام، والاستلزام الحواري المجازي متمثلا في الاستعارة والكناية، وقد بلغ مجموع الجمل المنتهكة لمبادئ الحوار إنشائيا ومجازيا طبقا لنظرية (كرايس) في القصيدة سبعا وثلاثين جملة موزعة بين الاستفهام والاستعارة والكناية، وقد بينت الدراسة سبب هذا الترتيب في حينه[٣].

---

(١) ينظر: صـ ٢٩١٤ من هذه الدراسة.
(٢) ينظر: صـ ٢٩١٦ من هذه الدراسة.
(٣) ينظر: صـ ٢٩١٧ من هذه الدراسة.

- ✓ استثمر الشاعر عمر ابن أبي ربيعة واحدا من أشهر أساليب الإنشاء، وهو أسلوب الاستفهام في اثنتي عشرة جملة؛ للتعبير عن قصده التواصلي، وحقق هدفه التداولي عن طريق الاتكاء على أسلوب الاستفهام بوصفه آلية من آليات التداولية اللسانية، مستعينا به، كتقنية من تقنيات الخطاب من خلال ملفوظه الحرفي، أو معناه القضوي التداولي الذي نجح إلى حد بعيد في تحميله بحمولات استلزامية تحاورية قصد إليها قصدا، وتوجه نحوها توجها، مستثيرا الكفاءة اللغوية للمستقبل أفضل استثارة، موظفا إياها أيما توظيف، وقد فصلت الدراسة ذلك في حينه(١).
- ✓ قطعت الدراسة بأن السر وراء الاستلزام الحواري في مبحث الاستفهام يكمن وراء خرق مبدأ الكم من مبادئ (كرايس) القائم بالأساس على المساواة بين ما يقوله الباثّ وما يعنيه، وكذلك نجم الاستلزام الحواري هنا من خرق مبدأ الملائمة المعنيّ بالمطابقة بين الملفوظ والمطلوب.
- ✓ توصل البحث إلى أن الاسترشاد بسياقي النص والموقف نتج عنه استبعاد حمل الاستفهام على ظاهره، ومن ثم لم يُتصور وقوف المحتوى القضوي عند القوة الإنجازية الحرفية لمعنى الاستفهام؛ ما حمل المتلقي أن ينزاح منحرفا ببوصلة الحوار بحثا عن تأويل تداولي للحوار؛ لتخطي الدلالة الحرفية للاستفهام المتمثلة في طلب الفهم؛ وصولا إلى فضاءات سياقية أوسع، وذلك لخدمة المعنى التداولي الذي يريده الشاعر.
- ✓ لمعت الاستعارة بوصفها واحدة من أقوى الآليات الانزياحية التي يتحصل من خلالها الاستلزام الحواري، وبالرجوع إلى المدونة مناط الدراسة ظهر غناؤها بجمهرة من الاستعارات الناصعة التي زخرف بها الشاعر قصيدته؛ فراحت تضيء سماء النص، وتبرق في فضائه

(١) ينظر: صـ ٢٩١٨ وما بعدها من هذه الدراسة حتى صـ ٢٩٣٩.

المتراحب؛ فتأخذ الأبصار، فيروقها حسنه، وإن كان بها اسمدرار!. هذا، وقد رصدت الدراسة ما اشتملت عليه المدونة محل المباحثة من استعارات؛ فبلغت هذه الاستعارات في مجموعها تسع استعارات رائعة منثوره على صفحات القصيدة في فضاء النص الشعري محط المباحثة، وقد وزعها الشاعر على تسعة أبيات في المدونة بواقع استعارة واحدة لكل بيت، وقد أتت الدراسة على ذلك في حينه(١).

- ✓ رصدت الدراسة في مبحث الاستلزام الحواري والاستعارة توظيف الشاعر حزمة من الأفعال التأثيرية الإيجابية لتعميق المجرى الاستلزامي للمعنى في نفس المستقبل، وقد ضاعفت هذه الجمهرة من الأفعال قدرة المحتوى القضوي التداولي لجملة الاستعارة على تصوير مقصد المتكلم، وتجلية مراده، ومن ثم فقد أسهم بالطبع في الكشف عن قصدية الباثِّ، هذه القصدية التي فصلتها الدراسة في مظانها المختلفة من المبحث.
- ✓ وقفت الدراسة على السبب في لجوء المتحدث إلى الأسلوب الاستعاري، وبينت أنه ليس سوى وثوق الباثِّ في كفاءة المستقبِل اللغوية، وقدرته التأويلية، وأن هذا المتلقي مأمول فيه أن يكون قادرا على فهم المعنى غير الحرفي لجملة الاستعارة.
- ✓ رصدت الدراسة ظهور الدلالة المعجمية كقرينة لغوية اجتماعية تصرف الكلام عن ظاهره، وتؤطر في ذات الوقت لخرق صريح لواحد من مبادي الحوار المتمثل في مبدأ الطريقة ذلك الموجِب على الباثِّ التزامَ الوضوح في الكلام، وتجنب الغموض، والبعد عن الالتباس القصدي، ومبدأ النوع والكيف، ذلك المبدأ القائم على التزام الصدق ؛ مما يستفذ الكفاءة اللغوية للمستقبِل؛ فيدفعه لخطوات محسوبة خطوة بعد خطوة

(١) ينظر: صـ ٢٩٤٠ وما بعدها من هذه الدراسة.

وصولا إلى ما يستلزمه الحوار، وقد وقف الباحث على تفصيل ذلك مع كل جملة استعارية على حدة.

- ✓ فتشت الدراسة عن كوامن القوى الكنائية تحت أديم النص في مدونة النظر؛ فرصدت للفتى (عمر) صاحب تلك المدونة عددا من الكنايات بلغت في مجملها ست عشرة كناية، وقد تتولد من الكناية كناية صغرى، فتتوالى الكنايات في البيت الواحد، ولكن الدراسة تعدها كناية واحدة، وتعاملها معاملة الشاهد الواحد؛ كونَ تلك القوى الكنائية المتعانقة في البيت الواحد تتآزر لتصوير معنى واحد، ومن ثم لتحقيق استلزام حواري واحد.
- ✓ لقد وظف الشاعر في مبحث الاستلزام الحواري والكناية ملابسات العملية التخاطبية، وظروفها؛ فوجهت بوصلة المتلقي جهة المعنى الاستلزامي للمحتوى القضوي لهاتيك الكنايات، فليست جملة الكناية مستخدمة من أجل توصيل معناها الحرفي للمتلقي، بل هي وسيلة انزياحية يعرج من خلالها المستقبِل إلى سماء النص بحثا عن دلالة تأويلية، أو فرصة تخاطبية تتحدد على إثرها قصدية المتكلم المتخفية وراء هذه القوة الإنجازية الحرفية لجملة الكناية التي وظفها الشاعر ليس بوصفها ألفاظا تدل على المعنى الحرفي لها، بل بوصفها علامات موحية يرتبط استخراج دلالتها بملابسات العملية التخاطبية وظروفها المتباينة.
- ✓ سجلت الدراسة نجاح الشاعر في تفعيل بعض السلوكيات الاجتماعية من أجل الاسهام في تحقيق الاستلزام الحواري في مبحث الاستلزام الحواري والكناية، كما رصدت الدراسة كذلك تجلِّي الطريقة الإقناعية

بوصفها بعدا استلزاميا تداوليا، وظفه الشاعر؛ لإقناع المستقبِل بمضمون رسالته، وقد فصلت الدراسة ذلك في مظانه(١).

- ✓ رصدت الدراسة في باب الاستلزام الحواري والكناية استثمار الباثّ الذي هو الشاعر عمر ابن أبي ربيعة من مبادي (كرايس) التداولية مبدأ الملائمة والكيف القائمين على الوضوح والصدق في هذا الخطاب الكنائي رغبة في إستنتاج دلالة حوارية سياقية توافق الحال، ويقتضيها السياق.
- ✓ أخيرا علاقة النص بالمقام في باب الاستلزام الحواري والكناية هي التي وجهت بوصلة الدلالة إلى المنطقة التأويلية للخطاب، ولولا معونة سياق الموقف ما أمكن تأويل عبارات الكناية تأويلا يكشف عن قصدية الباثّ، وقد توصل المستقبِل إلى هذه الدلالة الاستلزامية التداولية – عن طريق توظيفه الآليةَ البلاغية المشكَّلة بنائيا في هذا النمط الكنائي المطرد تداوله، والمتعارف عليه في الوسط الاجتماعي اللغوي.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين!.

(١) ينظر: صـ ٢٩٦٥، ٢٩٧٣ من هذه الدراسة.

## مصفوفة المراجع


- الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقزويني لصابر الحباشة – ط/١ الدار المتوسطية للنشر بتونس ٢٠٠٩م.
- الأسس الإبستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه لإدريس مقبول طبعة المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء من دون تاريخ.
- الأعلام للزركلي ط/١٥ دار العلم للملايين بيروت ٢٠٠٢م.
- أقلمة المفاهيم التداولية لنظرية النظم – قص للمسارات البلاغية والفلسفية والنحوية للدكتور. محمد الأمين بحري – العدد السابع من مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة بسكرة بالجزائر لسنة ٢٠١٠م.
- الأمر والنهي في اللغة العربية لنعيمة الزهري – ط/١ مطبعة المعارف الجديدة بالرباط ١٩٩٧م.
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لمحمود أحمد نحلة ط/١ دار المعرفة الجامعية مصر ٢٠٠٢م.
- آليات التداولية في تحليل الخطاب لعبدالقادر عواد مجلة البيان بالكويت العدد ٤٩٢ يونيو ٢٠١١م.
- البحث النحوي عند الأصوليين للدكتور/مصطفى جمال الدين المكتبة الوطنية ببغداد ١٩٨٠م.
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد – ط/٦– دار المعرفة بيروت ١٩٨٣م.
- تحليل الخطاب المسرحي في ظل النظرية التداولية لعمر بلخير – منشورات الاختلاف بدولة الجزائر – ط/١.
- التداولية عند ابن جني دراسة تطبيقية في كتاب الخصائص العدد ٣٩ من مجلة الدراسات الشرقية مصر ٢٠٠٧م.

- التداولية لـ (جورج يول) ترجمة قصي العتابي ط/١ دار الأمان بالرباط ٢٠١٠م.
- التداولية من (أوستين) إلى (غوفمان) لـ (فيليب بلانشية) ترجمة صابر الحباشة ط/١ دار الحوار سوريا اللاذقية ٢٠٠٧م.
- التداولية الاهتمام والمفاهيم والأهداف محمد رخروخ مقال منشور بمجلة (أقلام) الثقافية الفلسطينية على موقع الشبكة العنكبوتية. أبريل ٢٠٠٩م.
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل لـ (آن روبول) و(جاك موشلار) ترجمة: د.سيف الدين دغفوس، ود. محمد الشيباني، ومراجعة د. لطيف زيتزني. ط/١ عن المنظمة العربية للترجمة دار الطليعة – بيروت ٢٠٠٣م.
- التداولية عند ابن جني دراسة تطبيقية في كتاب الخصائص لصبحي إبراهيم الفقي مجلة الدراسات الشرقية– جمعية خريجي أقسام اللغات الشرقية بالجامعات المصرية مصر العدد ٣٩ لسنة ٢٠٠٧م صـ ٢٣٩.
- التعريفات الفقهية لمحمد عميم الإحسان ط/١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٤هـ.
- تاج العروس للزبيدي بتحقيق مجموعة من المحققين نسخة صادرة عن دار الهداية من دون تاريخ.
- جمهرة اللغة لابن دريد بتحقيق رمزي منير بعلبكي. ط/١ دار العلم للملاين بيروت ١٩٨٧م.
- الحوار وخصائص التفاعل التواصلي للدكتور محمد نظيف ط/١ أفريقيا الشرق بالمغرب ٢٠١٠م.

- الحوار في الشعر العربي القديم شعر امرئ القيس نموذجا د. محمد سعيد حسين مرعي مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية العدد الثالث المجلد الرابع عشر لسنة ٢٠٠٧م.
- الخصائص لابن جني ط/٤- الهيئة المصرية العامة للكتاب من دون تاريخ.
- خصائص البنى التركيبية للخطاب النبوي الشريف في صحيح مسلم مقاربة تداولية لعلي بعداش أطروحة دكتوراه بجامعة سطيف بالجزائر لسنة ٢٠١٦م.
- دلالة الاستلزام الحواري في الباب السابع عشر من "كليلة ودمنة" لابن المقفع. مقال من ست صفحات للدكتورة ليلى جغام كلية الآداب واللغات بجامعة محمد خيضر بسكرة بالجزائر منشورات ندوة المخبر اللسانيات من دون تاريخ.
- دليل الناقد الأدبي لـ (ميجان الرويلي وسعد البازعي) ط/٢ المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء سنة ٢٠٠٠م.
- **ديوان عمر ابن أبي ربيعة بشرح محمد محيي الدين عبدالحميد – ط/١ مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٢م.**
- الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري بتحقيق حاتم صالح الضامن ط/١ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٢م.
- السياق وبناء المعنى مقاربة تداولية للمقامة الأهوازية لرحيمة شيتر .جامعة محمد خيذر بسكرة الجزائر ٢٠٠٩م.
- الاستلزام الحواري في التداول اللساني للعياشي أدواري. ط/١ منشورات الاختلاف دار الأمان بالرباط ١٤٣٢هـ.
- (سوسيولوجيا اللغة) لـ ( بيار أشار) ترجمة عبدالوهاب ترّو ط/١ منشورات عويدات بيروت لبنان ١٩٩٦م.

- السيميائية وفلسفة اللغة لـ (أمبرتو إيكو) ترجمة د. أحمد الصمعي ط/١ المنظمة العربية للترجمة بيروت ٢٠٠٥م.
- السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية لعبدالنعيم خليل ط/١ دار الوفاء بالإسكندرية.
- شظايا لسانية للدكتور جميل الماشطة ط/١ مطبعة السلام بالبصرة ٢٠٠١م.
- شعر أبي نواس دراسة تداولية للباحث حسين عمران محمد أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في كلية التربية والعلوم الإنسانية بجامعة ديالي بالعراق ٢٠١٥م.
- الطراز للعلوى . تحقيق : محمد عبدالسلام شاهين . ط/١ . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ١٩٩٥م.
- العين للخليل بن أحمد بتحقيق د مهدي المخزومي، و د إبراهيم السامرائي طبعة دار الهلال من دون تاريخ.
- قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني للباحثة (ثقبايت حامدة) رسالة تخصص (ماجستير) من كلية الآداب واللغات- جامعة مولود معمري (تيزو وزو) بالجزائر سنة ٢٠١٢م.
- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر للحضرمي بتحقيق بو جمعة مكري وخالد زاوي- ط/١ دار المنهاج بجدة ١٤٢٨هـ.
- القاموس الموسوعي للتداولية لـ(جاك موشلار) و( آن ريبول) ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين بالجامعات التونسية بإشراف عز الدين المجدوب مراجعة خالد ميلاد – ط/٢- ٢٠١٠م.
- القاموس المحيط للفيروزأبادي بتحقيق مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة ط/٨ – ٢٠٠٥م.

- الكتاب لسيبويه بتحقيق عبدالسلام هارون ط/٣ مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٨م.
- كتاب الأفعال لابن القطاع. ط/١ عالم الكتب ١٩٨٣م.
- لسان العرب لابن منظور طبعة صادرة عن دار صادر بيروت لسنة ١٤١٤هـ.
- اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية لمصطفى غلفان – جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء المغرب ١٩٨٨م.
- اللسانيات الوظيفية مدخل نظري لأحمد المتوكل – ط/٢ار الكتاب الجديد المتحدة بيروت ٢٠١٠م.
- لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب لـ (الحاج حمو ذهبية) ط/١منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة مولود معمري تيزي وزو الجزائر ٢٠٠٥م.
- المتكلم والسامع في البلاغة العربية دراسة تداولية لأشكال العلاقة بينهما للباحثة إيمان تومي. مذكرة مقدمة لنيل درجة الماستر في الآداب واللغة العربية بجامعة بسكرة بالجزائر.
- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده بتحقيق عبدالحميد هنداوي ط/١ دار الكتب بيروت ٢٠٠٠م.
- المحيط في اللغة لابن عباد بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين – ط/١ – عالم الكتب بيروت لسنة ١٤١٤هـ.
- مدخل إلى كتابى عبدالقاهر الجرجانى د: محمد أبو موسى .ط/١ مكتبة وهبة بالقاهرة ١٩٩٨م.
- مدخل إلى دراسة التداولية(مبدأ التعاون ونظرية الملائمة والتأويل) لـ(فرانشيسكو يوس راموس) ترجمة يحيى حمدان ط/١ دار نيبور بالعراق ٢٠١٤م.

- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ترجمة سعيد علوش ط/١ دار الكتاب اللبناني بيروت، و(شوسبريس) الدار البيضاء ١٩٨٥م.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم للدكتور محمد حسن جبل ط/١ مكتبة الآداب بالقاهرة ٢٠١٠م.
- معجم متن اللغة لأحمد رضا ط/١ مكتبة الحياة بيروت ١٣٨٠هـ.
- مفهوم التخاطب بين مقتضى التبليغ ومقتضى التهذيب لطه عبدالرحمن مقال منشور بمجلة كلية الأداب بني ملال بالمغرب العدد الأول لسنة ١٩٩٤م.
- مقاييس اللغة لابن فارس بتحقيق عبدالسلام هارون ط/١ دار الفكر ١٣٩٩هـ.
- المقاربة التداولية لـ (فرانسوارز أرمنكو) ترجمة د. سعيد علوش – ط/١ – مركز الإنماء القومي بالرباط ١٩٨٦م.
- المقاربة التداولية (قضية لغوية) لمحمد الزليطي السعودية مطبوعات جامعة الملك سعود ٢٠٠٧م.
- المقامة البشرية للهمذاني قراءة نصية تداولية في ضوء نظرية الحجاج لنعمان عبدالمجيد بوقرة – المجلة العربية للعلوم الإنسانية بالكويت المجلد ٣١ – العدد ١٢٣ لسنة ٢٠١٣م.
- المقام في ضوء (البراغماتية) النظرية والتطبيق، وهي أطروحة دكتوراة للباحثة منال محمد سيد هاشم نجار – كلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية لسنة ٢٠٠٤م
- النص والسياق لـ(فان دايك) ترجمة عبدالقادر قنيني – طبعة الدار البيضاء دار أفريقيا الشرق من دون تاريخ.
- النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذَب لابن بطال بتحقيق مصطفى سالم ط/١ المكتبة التجارية بمكة المكرمة ١٩٨٨م.

- نظرية (كرايس) والبلاغة العربية للدكتور (بن عيسى عسو أزابيط) مقال منشور في العدد الثالث عشر من مجلة كلية الآداب في مكناس بالمغرب لسنة ١٩٩٩م.
- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير بتحقيق طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي. ط/١ المكتبة العلمية بيروت ١٩٧٩م.

# فهرس المحتوى


| العنوان | الصفحة |
|---|---|
| الملخص باللغة العربية | ٢٨٩١ |
| الملخص باللغة الإنجليزية | ٢٨٩٢ |
| مقدمة. | ٢٨٩٣ |
| خطة البحث. | ٢٨٩٤ |
| **تمهيد**: إضاءات مفاهيمية ولمحات تأصيلية حول مصطلح التداولية. | ٢٨٩٥ |
| المطلب الأول: مقاربة تأصيلية لمصطلح التداولية. | ٢٨٩٥ |
| المطلب الثاني: الاستلزام الحواري. | ٢٩٠١ |
| المطلب الثالث: الأصول التداولية في التراث العربي. | ٢٩٠٦ |
| مدونة الدراسة. | ٢٩١١ |
| المعاقد السياقية للقصيدة. | ٢٩١٤ |
| **المبحث الأول**: الاستلزام الحواري والاستفهام. | ٢٩١٨ |
| الوقفة الأولى. | ٢٩١٩ |
| الوقفة الثانية. | ٢٩٢٠ |
| الجملة الأولى. | ٢٩٢٢ |
| الجملة الثانية. | ٢٩٢٣ |
| الجملة الثالثة. | ٢٩٢٥ |
| الجملة الرابعة. | ٢٩٢٦ |
| الوقفة الثالثة. | ٢٩٢٧ |
| الوقفة الرابعة. | ٢٩٢٩ |
| الوقفة الخامسة. | ٢٩٣١ |
| الوقفة السادسة. | ٢٩٣٢ |

| | |
|---|---|
| الوقفة السابعة. | ٢٩٣٤ |
| الجملة الأولى. | ٣٩٣٥ |
| الجملة الثانية حتى الخامسة. | ٢٩٣٦ |
| **المبحث الثاني**: الاستلزام الحواري والاستعارة. | ٢٩٤٠ |
| الاستعارة الأولى. | ٢٩٤٠ |
| الاستعارة الثانية. | ٢٩٤٣ |
| الاستعارة الثالثة. | ٢٩٤٥ |
| الاستعارة الرابعة. | ٢٩٤٧ |
| الاستعارة الخامسة. | ٢٩٤٩ |
| الاستعارتان: السادسة والسابعة. | ٢٩٥٢ |
| الاستعارة الثامنة. | ٢٩٥٥ |
| الاستعارة التاسعة. | ٢٩٥٧ |
| **المبحث الثالث**: الاستلزام الحواري والكناية. | ٢٩٦٠ |
| الكنايات الأولى والثانية والثالثة. | ٢٩٦١ |
| الكناية الرابعة. | ٢٩٦٣ |
| الكنايتان: الخامسة والسادسة. | ٢٩٦٤ |
| الكناية السابعة. | ٢٩٦٦ |
| الكنايات: الثامنة حتى العاشرة. | ٢٩٦٧ |
| الكنايات: الحادية عشرة حتى الثالثة عشرة. | ٢٩٦٩ |
| الكنايات: الرابعة عشرة حتى السادسة عشرة. | ٢٩٧٢ |
| خاتمة البحث. | ٢٩٧٥ |
| مصفوفة المراجع والمصادر. | ٢٩٨١ |
| فهرس المحتوى. | ٢٩٨٨ |